سورة الفاتحة

(١) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ الفاتحة: ١

قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قال: أيّ: ابدأ بهذا، وقل هذا[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب –رحمه الله– في بيان متعلق(الباء) وهو محذوف على معنى الابتداء، ويستغنى عن إظهاره لدلالة الحال عليه.

فتقديره: بسم الله الرحمن الرحيم أبدأ أو أقرأ.

قال الزَّجاج: والجالب للباء معنى الابتداء، كأنك قلت: بدأت بسم الله الرحمن الرحيم، إلا أنه لم يحتج لذكر(بدأت) لأن الحال تنبئ أنك مبتدئ[٢].

هذا قول عامة المفسِّرين وأهل اللغة[٣].

(١) مجالس ثعلب ٨٦/١

(٢) معاني القرآن٣٩/١، وينظر: جامع البيان، للطبري١١٢/١

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢٠/١، وجامع البيان، للطبري ١١٢/١، ومعاني القرآن، للزجاج ٣٩/١، وإعراب القرآن ، للنحاس١٦٦/١، ومشكل إعراب القرآن :٣٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ٩١/١، والتفسير البسيط ٤٣٨/١، وإملاء ما من به الرحمن٤/١، والدر المصون٢٢/١، وفتح القدير١٧/١، والتحرير والتنوير١٤٦/١

(٢) قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ الفاتحة: ٢

وسئل أبو العبَّاس عن: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ ما معناه؟ وقد يقال للرجال الحمد.

فقال: كل الحمد له، وكل حمد ذكر للآدميين فهو جزء منه، أيّ: كل ذلك لله[1].

الدِّراسة:

أوضح ثعلب -رحمه الله- نوع اللام في (الحمد) وأنها للاستغراق حيث تفيد الحمد والثناء الكامل والتام لله تعالى، وما ذكر للآدميين من ثناء فليس كمثل ثناء الله تعالى، فهو ثناء محدود مخصوص قاصر.

قال ابن جرير[2]: إن لدخول الألف واللام في الحمد معنى لا يؤديه قول القائل: حمداً لله. بإسقاط الألف واللام، وذلك أن دخولهما في الحمد منبئ على أن معناه جميع المحامد والشكر الكامل لله. ولو أُسقِطتَا منه لما دل إلا على أن حَمْدَ قائل ذلك لله دون المحامد كلِّها.

إذ كان معنى قول القائل: حمداً لله أو حمدٌ الله: أحمدُ الله حمداً. وليس التأويل في قول القائل ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تالياً سورة أمِّ القرآن: أحمد الله. بل التأويل في ذلك ما وصفنا قبل، من أن جميع المحامد لله بألوه يته وإنعامه على خلقه بما أنعم به عليهم من النِّعم التي لا كفء لها في الدين والدنيا، والعاجلِ والآجل[3].

(١) مجالس ثعلب ٨٦/١

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر، المحدث، إمام المفسِّرين، صاحب التصانيف، توفي سنة ٣١٠هـ، وينظر:طبقات المفسِّرين، للداوودي١١٠/٢، ووفيات الأعيان١٩١/٤.

(٣) جامع البيان١٣٨/١، وينظر: الجامع لأحكام القرآن٢٠٥/١، وفتح القدير١٩/١

(٣) قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤

أي : يوم الجزاء[١].

الدِّراسة:

الأقوال في تفسير(يوم الدين):

١. يوم الحساب والقضاء والجزاء.

روي عن ابن عبَّاس، وابن مسعودﷺ، ومجاهد، وقتادة[٢]، ومقاتل[٣]، و السُّدِّي[٤]، وابن جريج[٥][٦]، واختاره أبو عبيدة[٧]، واليزيدي[٨]، وابن جرير[٩]، والنَّحاس[١٠]، ومكِّي[١١][١٢]، [١٢]، والواحدي[١٣]، وابن عطية[١٤]، .....

(١) مجالس ثعلب ٢٧٦/١.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري، تابعي م فَسَّر، توفي سنة ١١٧هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين للداوودي٤٧/٢، ووفيات الأعيان٢٤٨/٣.

(٣) مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخرساني، أبو الحسن البلخي ، توفي سنة ١٥٠هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للدوادي٣٣٠/٢، ووفيات الأعيان٣٤١/٤.

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد الحجازي الكوفي السُّدِّي، تابعي مفَسَّر، توفي سنة ١٢٧هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٣٥٨/١، وسير أعلام النبلاء٢٦٤/٥.

(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي الم كِّي، حدث عن جمع من التابعين، توفي سنة ١٥٠هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١١٠/١، وسير أعلام النبلاء ٣٢٥/٦.

(٦) جامع البيان، للطبري ١٥٨/١-١٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٢٩/١، ومعاني القرآن للنحاس٦٢/١-٦٣، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٠٣/١، معالم التنزيل ٥٣/١، الدر المنثور٣٩/١.

(٧) مجاز القرآن: ٢٣/١

(٨) غريب القرآن: ٦١

(٩) جامع البيان، للطبري ١٥٧/١

(١٠) معاني القرآن، للنحاس ٦٣/١

(١١) مكِّي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي، أبو محمد المقرئ المفسِّر، توفي سنة ٤٣٧هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٣٣١/٢، وسير أعلام النبلاء٥٩١/١٧.

(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٠٣/١

(١٣) الوسيط ٦٧/١

(١٤) المحرر الوجيز ٧١/١

والقرطبي[١]، والخازن[٢] [٣]، والسَّمين الحلبي[٤]، وابن كثير[٥] [٦]، والشَّوكاني[٧].

٢. يوم الطاعة.[٨]

٣. يوم لا ينفع فيه إلا الدين.

روي عن محمد بن كعب القرظي[٩].

٤. دين الإسلام، أي: يقوم فيه الدين ويظهر حق القيام والظهور[١٠].

والقول الثاني والثالث والرابع في معنى واحد.

النتيجة:

لا تعارض بين ما تقدم من الأقوال، وإن كان هناك نوع اختلاف فهو من اختلاف التنوع لا التضاد الذي يدل على بلاغة القرآن وإعجازه في احتمال اللفظة الواحدة المعاني العديدة، فكلها محتملة لمعنى الآية ولا تعارض بينها،وإن كان القول الأول أقرب لسياق الآية ودلالة الآيات الأخرى واللغة عليه -كما سيأتي من كلام من ابن جرير عليه- واختيار جم هور المفسِّرين له.

والقاعدة في ذلك: أنه تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم احتمالاً راجحاً، وإن كان غيره محتملاً، وإذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢١/١

(٢) علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشافعي، أبو الحسن، المعروف بالخازن، توفي سنة ٧٤١هـ، وينظر: وطبقات المفسِّرين، للداوودي٤٢٦/١، والدرر الكامنة٩٧/٣.

(٣) لباب التأويل٢١/١

(٤) الدر المصون٥٣/١

(٥) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري، ثم الدمشقي، الفقيه، الشافعي، عماد الدين، صاحب التفسير، توفي سنة ٧٧٤هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١١١/١، والدرر الكامنة ٣٧٣/١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١٣٤/١

(٧) فتح القدير٢٢/١

(٨) ينظر: معالم التنزيل ٥٣/١، ولباب التأويل ٢١/١

(٩) محمد بن كعب بن سليم القرظي الكوفي، تابعي، توفي سنة ١١٠هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للأدنه وي:٩، وسير أعلام النبلاء ٦٥/٥.

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١٣٤/١

قال ابن جرير: والدِّين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال كما قال كعب بن جُعَل[1][2]:

إذا ما رَ مُونَ ا رَمَينَ اهمُ ودِنْ اهمُ مِثل ما يُ قرِضُ ونا

وكما قال الآخر[3]:

وأعلم وأيقن أن مُ للكَ كَ زائلٌ وأعلم بأنكَ كما تُ دينُ تُ دانُ

يعني: ما تجزي تجُازى.

ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾ الانفطار: ٩ يعني : بالجزاء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ الانفطار: ١٠ يحُصون ما تعملون من الأعمال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ الواقعة: ٨٦ يعني: غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين.[4]

(١) كعب بن جُعَل بن عجرة بن قمير التغلبي، شاعر مخضرم، توفي نحو ٥هـ، وينظر: معجم الشعراء ١/٧٣، والأعلام٥/٢٢٥.

(٢) ينظر: وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ٥٧، والكامل للمبرد ١/٣٢٧، والمخصص لابن سيده١٧/١٥٥

(٣) البيت لابن نفيل يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل الكلابي ، ينظر: مجاز القرآن ١/٢٣، والكامل ١/ ٣٢٨، وجمهرة اللغة لابن دريد ٢/٣٠٦، والمخصص ١٧/١٥٥، وينظر: لسان العرب مادة(د ي ن).

(٤) جامع البيان، للطبري ١/١٥٧، وينظر: المحرر الوجيز١/٧١، والجامع لأحكام القرآن١/٢٢١

سورة البقرة

(٤) قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ﴾ البقرة: ١

أنها حروف قصد منها تنبيه السامع ، مثل النداء المقصود به التنبيه في قولك : يافتى، لإيقاظ ذهن السامع، قاله: ثعلب [١].

الدِّراسة:

مما أجمع عليه العلماء في حروف الهجَّي أن في إنزالها مقصوداً ولله فيها حكمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

لكن هل لها معنى أم لا؟ فللعلماء فيها قولان:

القول الأول: أن لها معنى معلوماً، ليس في ذات الحرف كما في حروف المعاني، إنما هي دلالات وإشارات على أشياء كما سيأتي بيان ذلك في أقوال العلماء الآتية، ومنها[٢]:

١. اسم من أسماء القرآن.

روي عن مجاهد، وقتادة، وابن جريج.

٢. اسم من أسماء السور.

روي عن زيد بن أسلم[٣]،و أبي عبيدة، وسيبويه.

٣. اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها.

روي عن علي، وابن مسعود، وابن عبَّاس رضي الله عنهم.

٤. اسم من أسماء الله.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس رضي الله عنهم، و السُّدِّي، والشعبي[٤].

٥. قسم أقسم الله به.

---

(١) التحرير والتنوير ١/٢١٤

(٢) ينظر تفصيل هذه الأقوال في : جامع البيان، للطبري ١/٢٠٤-٢٠٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣٢-٣٣،ومعاني القرآن ، للنحاس١/٧٣-٧٥، والنكت والعيون ١/٦٣-٦٤، ومعالم التنزيل ١/٥٨، والمحرر الوجيز ١/٨١-٨٢، وزاد المسير ١/٢٠، و تفسير القرآن العظيم، لا بن كثير ١/١٥٧-١٥٩، والدر المنثور١/٥٤-٥٥، فتح القدير١/٢٩.

(٣) زيد بن أسلم العدوي، أبو عبد الله العمري المدني، تابعي مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، توفي سنة١٣٦هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٨٢، وطبقات القراء، لابن الجزري١/٢٩٦.

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، أبو عمرو الهمداني الشعبي، المفسِّر والفقيه، توفي سنة ١٠٥هـ، وينظر: تاريخ بغداد١٢/٢٢٧، وسير أعلام النبلاء٤/٢٩٤.

وري عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، وعكرمة[1].

٦. وهذا قول خاص في معنى(ألم) دون غيرها من حروف التهجي : أنا الله أعلم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير[2] واختاره الزَّجاج، وقال: والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها، قال الشاعر:

قُلْنَا لها قِفِي قالَت قَاف لا تحسبي أنَّا نَسِينا الإيجاف[3][4]

ورجح ابن جرير اشتمال هذه الحروف لجميع ما قال المفسِّرون في معناها، وقال:

والصواب في تأويل ذلك عندي أن كل حرف منه يحوي ما قاله الرَّبيع[5][6] وما قاله سائر المفسِّرين غيره فيه.[7]

لكن اعترض على هذا القول، فقيل: إن العرب لم يتكلموا بشيء من ذلك وإذا سمعه السامع منهم كان معدودا عنده من الرطانة ولا ينافي ذلك أنهم قد يقتصرون على أحرف أو حروف من الكلمة التي يريدون النطق بها فإنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن تقدمه ما يدل عليه ويفيد معناه بحيث لا يلتبس على سامعه[8].

إذا تقرر هذا لم يبق إلا التفسير بمحض الرأي وهو محظور أو التفسير بالرفع لكنه غير موجود.

---

(١) عكرمة مولى ابن عبَّاس، أحد فقهاء مكة من التابعين الأعلام، أصله من البربر، توفي سنة ١٠٥هـ، وينظر: وطبقات المفسِّرين، للداوودي١/٣٨٦، وسير أعلام النبلاء ٥/١٢.

(٢) سعيد بن جبير ين هشام الأسدي، أبو عبد الله التابعي، قتله الحجاج سنة ١٧٥هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٨٨، ووفيات الأعيان٢/١١٢.

(٣) الإيجاف: سُرْعة السَّير، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(و ج ف).

(٤) معاني القرآن للزجاج١/٦٢، والبيت لأبي وهب الوليد بن عقبة، ينظر: الأغاني٤/١٨١، والخصائص١/٣٠

(٥) الرَّبيع بن أنس زياد البكري الخراساني المروزي البصري، تابعي، توفي سنة ١٣٩هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٦/١٦٩، وتهذيب التهذيب٢/١٤٦.

(٦) قال الرَّبيع بن أنس رحمه الله: هذه الأحرف من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الألسن كلها ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه وليس منها حرف إلا وهو مدة قوم وآجالهم. جامع البيان، للطبري ١/٢٠٩

(٧) جامع البيان، للطبري /٢٢٣

(٨) ينظر: فتح القدير١/٣٠

قال الشَّوكاني: وإذا تقرر لك أنه لا يمكن استفادة ما ادعوه من لغة العرب وعلومها لم يبق حينئذ إلا أحد أمرين:

الأول: التفسير بمحض الرأي الذي ورد النهي عنه والوعيد عليه وأهل العلم أحق النَّاس بتجنبه والصد عنه والتنكب عن طريقه وهم أتقى لله سبحانه من أن يجعلوا كتاب الله سبحانه ملعبة لهم يتلاعبون به ويضعون حماقات أنظارهم وخزعبلات أفكارهم عليه.

الثاني: التفسير بتوقيف عن صاحب الشرع وهذا هو المهيع الواضح والسبيل القويم بل الجادة التي ما سواها مردوم والطريقة العامرة التي ما عداها معدوم فمن وجد شيئا من هذا فغير ملوم أن يقول بملء فيه ويتكلم بما وصل إليه علمه ومن لم يبلغه شيء من ذلك فليقل لا أدري أو الله أعلم بمراده[1].

القول الثاني: أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه.

وروي هذا القول عن الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، والشعبي، وسفيان الثوري[2]، وجمهور المفسِّرين[3].

سأل داود بن أبي هند[4] الشَّعبي عن فواتح السور، فقال: يا داود إن لكل كتاب سراً، وإن سر هذا القرآن فواتح السور، فدعها وسَل عمَّا بدا لك[5].

---

(١) فتح القدير١/٣٠-٣١

(٢) سفيان بن سعيد بن مسروق، أبو عبد الله الثوري الحافظ والمحدث، توفي سنة ١٩١هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٩٣، ووفيات الأعيان٢/١٢٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن للنحاس١/٧٦-٧٧، و الهداية إلى بلوغ النهاية١/١٢١، ومعالم التنزيل١/٥٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/١٦٠، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٧، والدر المنثور ١/٥٦، وفتح القدير ١/٢٩، وتفسير القرآن الكريم ، لابن عثيمين: ١/٢٣

(٤) داود بن أبي الهند القشيري مولاهم، أبو بكر البصري، تابعي، توفي سنة ١٤٠هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٧٤، وتذكر الحفاظ١/١٤٦.

(٥) الدر المنثور١/٥٦

وقال أبو حاتم[1]: لم نجد الحروف المقطعة في القرآن، إلا في أوائل السور، ولا ندري ما أراد الله تعالى بها[2]؟

وقال الشَّوكاني: والذي أراه لنفسي ولكل من أحب السلامة واقتدى بسلف الأمة أن لا يتكلم بشيء من ذلك مع الاعتراف بأن في إنزالها حكمة لله عز وجل لا تبلغها عقولنا ولا تهتدي إليها أفهامنا وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوزه[3].

لكن البعض منهم التمس لها مقصوداً، ومن ذلك ما يلي:

١. ترمز هذه الحروف إلى تركيب القرآن، وفيها إشارة إلى إعجازه البياني ، وخطابٌ للعرب بالتحدي، أن هذا القرآن الذي عجزتم أن تأتوا بمثله إنما هو مكون من هذه الحروف الهجائية التي هي لغتكم ولغة آبائكم.

قال به قطرب[4][5]، والفرَّاء، والمبرِّد[6]، والذهبي[7]، وابن كثير[8] وابن عاشور[9][10]، وابن وابن عثيمين[11][12].

---

(١) سهل بن محمد بن محمد بن القاسم البصري السجستاني، أبو حاتم المقرء واللغوي، توفي سنة ٢٤٨هـ، وينظر: إنباه الرواة٢/٥٨، وطبقات القراء، لابن الجزري١/٣٢٠.

(٢) معاني القرآن، للنحاس١/٧٨

(٣) فتح القدير١/٣٢

(٤) محمد بن المستنير، أبو علي النحوي المعتزلي، الملقب بقطرب، توفي ٢٠٦هـ، وينظر: إنباه الرواة٣/٢١٩، وطبقات المفسِّرين، للداوودي٢/٢٥٦.

(٥) معاني القرآن، للنحاس١/٧٨

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية١/١٢١، والمحرر الوجيز١/٨٢، والتحرير والتنوير١/٢١٢

(٧) معاني القرآن، للنحاس١/٧٨

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/١٦٠

(٩) محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، توفي سنة ١٣٩٣هـ، وينظر: الأعلام ٦/١٧٤، وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور: ٣٢-٦٧.

(١٠) التحرير والتنوير١/٢١٢-٢١٥،٢١٣-٢١٦

(١١) محمد بن صالح بن محمد بن سليمان العثيمين، التميمي، أبو عبد الله، علامة عصره، وله العديد من المؤلفات في شتى الفنون، توفي سنة ١٤٢١هـ، وينظر: الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين : ١٠-١٧٦، والدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين: ١٧-٣٩٨.

(١٢) تفسير القرآن الكريم ، لابن عثيمين ١/٢٣

٢. تنبيه السامع للقرآن، فهي ليس لها معنى لكنها مثل حروف النداء لها مقصود يُبدأ بها الكلام، فهي فواتح للسور، فيعلم بها أن السورة التي قبلها انقضت، وأخذ في الأخرى، لتنبيه السامع[١].

وهذا ما ذهب إليه قطرب، والفرَّاء، وأبو عبيدة، والأخفش، والمبرِّد، ومال إليه النَّحاس[٢].

النتيجة:

من خلال ما سبق يظهر ضعَف القول الأول، وأنه ليس عليه دليل قاطع الدلالة والثبوت، فلا اللغة العربية تدل عليه ولا جاء دليل من الشرع يفسِّره.

والقاعدة: لا يصح تفسير أمور غيبية بلا دليل من الكتاب أو السنة.

وبناءا على هذا يترجح القول الثاني وأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فترك الخوض فيها بلا دليل ليس أسلم فحسب بل واجب.

إلا أن أصحاب القول الأول قالوا: إن التفسير فيها جاء بدليل له حكم الرفع ، حيث جاء عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، وهو مما لا مجال للاجتهاد فيه ، ولا مدخل للغة العرب، فيأخذ حكم المرفوع إلى النَّبي ﷺ.

ويجاب عليه بالآتي:

١. أن المروي عن الصحابة رضوان الله عليهم مختلفٌ متناقضٌ، فإن عملنا بقول دون الآخر كان تحكُّماً لا وجه له.

٢. لو كان ما قالوه مأخوذاً من النَّبي ﷺ لاتفقوا عليه و لم يختلفوا.

٣. لو كان مرفوعاً إلى النَّبي ﷺ لما تركوا حكايته عنه ورفعه إليه[٣].

فكل هذا يُضعِف ويمنع القول برفع هذه المرويات إلى النَّبي ﷺ.

واعترضوا أيضاً فقالوا: القول بأن هذه الحروف ليس لها معنى يخالف مقصود نزول القرآن على العرب، حيث نزل بلغتهم من أجل أن يُدرَس ويُفهم ويعمل به، فكيف ينزل عليهم كلام لا معنى ولا مفهوم له.

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للأخفش١/٢١، وجامع البيان، للطبري ١/٢١٢

(٢) مجاز القرآن ١/٢٨، ومعاني القرآن ، للنحاس١/٧٦-٧٧، وينظر: معاني القرآن ، للزجاج١/٦٢، والتحرير والتنوير١/٢١٤

(٣) ينظر: فتح القدير١/٣٢

ثم أمر آخر أيضاً وهو أن القول بهذا يفتح باباً للطعن في القرآن أن فيه ما لا يفهم، وأنه لا فائدة منه.

الجواب: هذا الكلام سليم، لكن بشرط أن يقال ليس لهذه الحروف معناً ولا حكمة في إنزالها، وهذا لا شك أنه لم يقل به أحد من العلماء.

أما ما ذكره العلماء من اجتهاد في حكمة ومقصود هذه الحروف فهو مقبول ومحتمل، والله تعالى أعلم.

(٥) قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾البقرة: ٢٦

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل : ﴿ مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ يقال: دونها وهو قليل، وتكون (ما) صلة[١]، وما فوقها أي: أكبر منها، أجْوَدُ [٢].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(فما فوقها)، ثلاثة أقوال:

١. أصغر منها كالذَّر من الذَّل.

قاله الكسائي[٣]، وأبو عبيدة[٤]، واليزيدي[٥]، ومكِّي[٦]، ومال إليه الرازي[٧].

قال ابن جرير: وقيل في تأويل قوله: ﴿ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ في الصِّغَر والقِلَّة كما يقال في الرجل يذكره الذاكر فيصفه باللؤم والشُّح فيقول السامِّع نعم وفوق ذاك يعني فوق الذي وصف في الشُّح واللؤم.[٨]

٢. أكبر منها كالذباب والعنكبوت.

روي عن ابن عبَّاس وابن مسعودﷺ، وقتادة، و السُّدِّي[٩]، وقاله الفرَّاء،[١٠] وابن جرير[١١]،

---

(١) بمعنى زائدة. ينظر: البحر المحيط١/١٢٣، والدر المصون١/٢٢٦

(٢) مجالس ثعلب١/١٩١

(٣) ينظر: المحرر الوجيز١/١١١، والجامع لأحكام القرآن١/٣٦٦.

(٤) مجاز القرآن١/٣٥

(٥) غريب القرآن:٦٦

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية: ١/٢٠٢

(٧) مفاتيح الغيب١/١٤٩

(٨) جامع البيان، للطبري /٤٣٠

(٩) ينظر : تفسير القرآن العزيز ١/٦٤، و جامع البيان، للطبري ١/٤٢٣-٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٦٩، والدر المنثور١/٨٨.

(١٠) معاني القرآن١/٢٠

(١١) جامع البيان، للطبري ١/٤٣٠

والبغوي[1][2]، وابن جزي[3][4]، وأبو حيَّان[5]، والسَّمين الحلبي[6].

واستدل أصحاب هذا القول بسبب النزول عن قتادة -رحمه الله- قال: لما ذكر تبارك وتعالى العنكبوت والذباب، قال المشركو ن: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله :﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** ﴾البقرة: ٢٦ [7]

قال الفرَّاء:ولو جعلت في مثله من الكلام ﴿ **فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ تريد أصغر منها جاز ذلك. ولست أستحسنه، لأن البعوضة كأنها غاية في الصغِّر، فأحب إليَّ أن أجعل﴿ **فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ أكبر منها[8].

قال ابن جرير: وأما تأويل قوله: ﴿ **فَمَا فَوْقَهَا** ﴾ فما هو أعظم منها عندي، لما ذكرنا قبل من قول قتادة وابن جريج، أن البعوضة أضعف خلق الله فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلة والضعف، وإذ كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه، فقد يجب أن يكون المعنى على ما قالاه ، فما فوقها في العظم والكبر إذ كانت البعوضة نهاية في الضعَّف والقِلَّة[9].

---

(١) الحسين بن مسعود بن محمد بن الفرَّاء البغوي الشافعي، المحدث المفسِّر، توفي سنة ٥١٦هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩.

(٢) معالم التنزيل١/٧٧

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي الغرناطي، أبو القاسم، قتل في سنة ٧٤١هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للدوودي٢/٨٥، والدرر الكامنة ٣/٣٥٦.

(٤) التسهيل إلى علوم التنزيل١/٤٢

(٥) البحر المحيط١/١٢٣

(٦) الدر المصون١/٢٢٦

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/٦٤، والطبري في تفسيره ١/٤٢٤، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٦٩، والسيوطي في الدر المنثور١/٨٨ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.والأثر رجال إسناده ثقات لكنه مرسل.

وروي نحوه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص:٢٧، لكنه ضعيف.

(٨) معاني القرآن ١/٢٠

(٩) جامع البيان، للطبري ١/٤٣٠

لكن أصحاب القول الأول اعترضوا على هذا القول فقالوا: لا نُسَلِّمُ أن ضرب الأمثال كان محصوراً على أصغر خلق الله وهي البعوضة، فإن جناح البعوضة أقل منها وقد ضربه النَّبي ﷺ مثلاً لحقارة الدنيا[1].

وقال أصحاب القول الثاني أيضاً: إن لفظ (فوق) يدل على العلو.

قال أبو حيَّان:والذي نختاره القول الأول لجريان فوق على مشهور ما استقر فيها في اللغة[2].

اللغة[2].

فأجابوا عليه بقولهم: نعم نُسلِّمُ لكم بذلك، لكن يدل على العلو في المدح وأيضاً في الذم، فيقال: رجل كريم، فيقول آخر عنه: بل فوق ذلك، فيهم منه الزيادة في المدح، ويقال: رجل بخيل، فيقول آخر:وفوق ذلك، فيهم الزيادة في ذمه.

وهكذا هذه الآية نقول يراد بـــ (فوق) الزِّيادة في التحقير مثل الذم[3].

٣. رجح الزَّمَخشَري[4] أن الآية تحتمل القولين وقال:

ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم[5] عن إبراهيم[6] عن الأسود[7] قال: دخل دخل شباب من قريش[8] على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت: ما

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب١/١٥٠

(٢) البحر المحيط١/١٢٣

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء١/٢١، والكشاف١/١٢٠، ومفاتيح الغيب١/١٥٠

(٤) محمود بن عمر بن محمد الزَّمَخشَري الخوارزمي النحوي، أبو القاسم كبير المعتزلة، توفي سنة ٥٣٨هـــ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٢/٣١٤، وسير أعلام النبلاء٢٠/١٥١.

(٥) مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد، أبو الحسين القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، توفي سنة ٢٦١هـــ، وينظر: وفيات الأعيان٥/١٩٤، وسير أعلام النبلاء١٢/٥٥٧.

(٦) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النَّخعي، أبو عمران الكوفي الفقيه، روى عن الأسود بن يزيد، وتوفي سنة ٩٦هـــ، وينظر: سير أعلام النبلاء٤/٥٢٠، وتهذيب التهذيب١/١٧٦.

(٧) الأسود بن يزيد بن قيس النَّخعي، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الرحمن، تابعي روى عن أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعائشة، وغيرهم، وروى عنه إبراهيم النَّخعي، توفي سنة ٧٥هـــ، وينظر: سير أعلام النبلاء٤/٥٠، وتهذيب التهذيب١/٢٧٥.

(٨) قريش: من أكبر قبائل العرب من كنانة، وهم بطون كثيرة منهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أمية وغيرهم، منازلهم بلاد الحجاز. ينظر: نهاية الأرب:٣٥٦، ومعجم قبائل العرب٣/٩٤٧.

يضحككم؟ قالوا: فلان خر على طنبِ فسُطَاط [1] فكادت عنقه أو عينه أن تذهب، فقالت: لا تضحكوا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كُتِبَتَ له بها درجة ومحيت بها عنه خَطيئة**)[2].

يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نَخْبَةَالرمَّلة في قوله عليه الصلاة والسلام :(**ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نَخْبَةَ[3] الرمَّلة**)[4]وهي عضتها.

ويحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخُرُور على طَنَبِ الفسُطَاط[5].

وقال ابن عطية بعد ذكر الأقوال: والكل محتمل[6]. وكذلك قال ابن عاشور[7].

النتيجة:

من نظر من العلماء إلى معنى الفوق المشهور في اللغة وأنه في حجم ا لمُمَثَّل به اختار القول الثاني، ومن نظر إلى أن الفوق يراد به الزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل به اختار القول الأول.

لكن إذا كان معنى الفوق جائزٌ في اللغة أن يقع على حجم الممثل به أو الزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل به وليس هناك تعارض حقيقي من حمل معنى الآية عليهما- كما ظهر ذلك جلياً من أقوال العلماء-، فالذي يظهر والله تعالى أعلم أن تحمل الآية على المعنيين وأنها تدل على أن الله تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلا للناس من أجل هدايتهم للحق سواء بالبعوضة أو أكبر منها كما ضرب مثلا بالذباب والعنكبوت أو أصغر وأحقر من البعوضة إن اعتقدتم أنه لا يضرب مثلا بذلك.

---

(١) الفسطاط: بيت من شعر، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ف س ط)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، رقم(٢٥٧٢)

(٣) وهي بفتح النون وسكون الخاء المعجمة بعدها موحده وهي قرصتها. مرقاة المفاتيح٤/٣٢

(٤) قال الطيبي: لم أقف على رواية ، وقال الزيلعي: لم أجده ، وقال الولي العراقي : لم أقف عليه بهذا اللفظ.ينظر: الفتح السماوي١ / ١٥٦، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف١/٥٨: غريب جدا.

(٥) الكشاف للزمخشري١/١٢٠-١٢١

(٦) المحرر الوجيز١/١١١

(٧) التحرير والتنوير١/٣٦٢

وإذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها، والله تعالى أعلم.

قال ابن عاشور: وهو في هذه الآية صالح للمعنيين أي: ما هو أشد من البعوضة في الحقارة وما هو أكبر حجماً[1].

(١) التحرير والتنوير١/٣٦٢

(٦) قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٨

قال ابن الجوزي: وفي الحياتين والموتتين أقوال: أصحها أن الموتة الأولى كونهم نطفاً وعلقاً ومضغاً فأحياهم في الأرحام، ثم يميتهم بعد خروجهم الى الدنيا، ثم يحييهم للبعث يوم القيامة. وهذا قول ابن عبَّاس وقتادة و مقاتل والفرَّاء وثعلب والزَّجاج وابن قتيبة وابن الأنباري[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بالموتتين والحياتين[٢]:

١. أخرجكم من العدم، ثم أحياكم بأن أخرجكم في هذه الدنيا، ثم يميتكم بعد الحياة في الدنيا، ثم يحيكم بالبعث والرجوع إليه للحساب.

وتنوعت أقوال أصحاب هذا القول في الموتة الأولى وإن كانت عائدة إلى أصل واحد وهو العدم.

فقالوا: معدومين قبل أن تُخلقوا دارسين، أو بكون آدم في الأصل من طين ميت ، أو من أصلاب أبائكم، أو في الأرحام نُطَفاً أو عَلَقاً أو مُضغَاً.

ممن قال بهذا القول: ابن مسعود، وابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وأبو العالية [٣]، وأبو مالك [٤]، و السُّدِّي ، والكلبي [٥][٦]، .....

(١) زاد المسير ١/٥٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١/٤٤٣-٤٥٠، والهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٠٥-٢٠٧، والمحرر الوجيز ١/١١٤، والجامع لأحكام القرآن١/٣٧٤-٣٧٦، والبحر المحيط١/١٣٠، والدر المنثور١/٨٩-٩٠

(٣) رفيع بن مهران الرياحي، أبو العالية البصري المفسِّر والمقرء التابعي، توفي سنة ٩٣هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/١٧٨هـ، وسير أعلام النبلاء٤/٢٠٧.

(٤) سعد بن طارق بن أشيم، أبو مالك الأشجعي الكوفي التابعي، وثقة ابن معين والإمام أحمد، وتوفي بعد سنة ١٤٠هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٦/١٨٤، وتهذيب التهذيب٢/٢٨١.

(٥) محمد بن السائب بن بشر، أبو النضر الكلبي الكوفي المفسِّر والنسَّابة، توفي سنة ١٤٦هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٢/١٤٩، وسير أعلام النبلاء٦/٢٤٨.

(٦) ينظر: تفسير عبدالرزاق ١/٦٤، وجامع البيان، للطبري ١/٤٤٣-٤٤٦، تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٧٣، والدر المنثور١/٨٩

والفرَّاء[1]، والأخفش[2]، ابن جرير[3]، والزَّجاج[4]، ومكِّي[5]، وابن عطية[6]، والبغوي[7]، وابن وابن كثير[8]، والشَّوكاني[9].

٢. الموتة الأولى أنه أماتكم بعد ما ذرأكم من ظهر آدم كما قال تعالى : ﴿الرَّجِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ الأعراف : ١٧٢ ، ثم أحياكم بأن أخرجكم من بطون أمهاتكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم للبعث.

روي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم[10][11].

قال ابن جرير: وزعم ابن زيد في تفسيره أن الله أحياهم ثلاث إحيا ءات، وأماتهم ثلاث إماتات.

والأمر عندنا وإن كان فيما وصف من استخراج الله جل ذكره من صلب آدم ذريته وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف، فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين ، أعني : قوله :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ الآية وقوله :﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ غافر : ١١ في شيء، لأن أحداً لم يدعِ أن الله أمات من ذرأ يومئذ غير الإماتة التي صار بها في البرزخ إلى يوم البعث، فيكون جائزاً أن يوجه تأويل الآية إلى ما وجهه إليه ابن زيد[12]!.

---

(١) معاني القرآن ٢٥/١

(٢) معاني القرآن ٥٤/١

(٣) جامع البيان، للطبري ٤٥٠/١

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٠٦/١

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٢٠٥/١

(٦) المحرر الوجيز١١٤/١

(٧) معالم التنزيل٧٧/١

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢١٢/١

(٩) فتح القدير ٥٩/١

(١٠) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، المفسِّر، توفي سنة ١٨٢هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٢٧١/١، وسير أعلام النبلاء٣٤٩/٨.

(١١) جامع البيان، للطبري ٤٤٦/١

(١٢) جامع البيان، للطبري ٤٤٩/١

ثم أمر آخر وهو أن الآية سيقت للاستدلال بالخلق الأ ول والذي يقر به الكفار على البعث يوم القيامة، والقول بأن المراد في الموتة الأولى أن الله تعالى هو الذي أماتهم بعد ما أخرجهم من صلب آدم لا يصلح، لأن الكفار لا يقرون به، فكيف نريدهم أن يقرون بالبعث؟

٣. الموت المعهود في الدنيا ثم الإحياء للسؤال في القبور ، ثم الموت فيها ، ثم الإحياء للبعث.

هذا القول عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وأبي صالح[١][٢].

قال الفرَّاء: المعنى –والله أعلم– :وقد كنتم، ولولا إضمار (قد) لم يجز مثله في الكلام، ألا ترى أنه قد قال في يوسف :﴿ الصَّافَّاتِ صَفًّا الزُّمَرِ غَافِرِ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ ﴾ يوسف: ٢٧ المعنى –والله أعلم–: فقد كذبت[٣].

فإذا كان الكلام عن شيء ماضٍ كما هو ظاهر من قوله :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ الآية، فكيف يقال: يراد بالموتة الأولى الموت المعهود في ا لدنيا وهو في المستقبل لم يحصل بعد؟

قال الطبري: وأما وجه تأويل من تأول ذلك أنه الإماتة التي هي خروج الروح من الجسد ، فإنه ينبغي أن يكون ذهب بقوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ إلى أنه خطاب لأهل القبور بعد إحيائهم في قبورهم، وذلك معنى بعيد لأن التوبيخ هنالك إنما هو توبيخ على ما سلف وفرط من إجرامهم لا استعتاب واسترجاع[٤].

٤. الخمول بعدم الذكر قبل الإسلام ثم الحياة بهذا الدين بأن ذُكِرَ وشَرَفَ.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما [٥].

---

(١) باذام، ويقال: باذان أبو صالح، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، تابعي، حدث عن مولاته وعلي وابن عبَّاس وأبي هريرة رضي الله عنهم، وتوفي بعد سنة ١٢١هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٥/٣٧، وتهذيب التهذيب١/٣٢١.

(٢) جامع البيان، للطبري ١/٤٤٥

(٣) معاني القرآن ١/٢٤

(٤) جامع البيان، للطبري ١/٤٤٨، وقال مكِّي: وذلك بعيد. الهداية١/٢٠٦

(٥) المحرر الوجيز١/١١٤، والبحر المحيط١/١٣٠

النتيجة:

أرجح الأقوال وأظهرها وأقربها لسياق الآية وخطابها القول الأول الذي ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين والمفسِّرين.

فالآية سيقت خطاباً للكافرين المنكرين للبعث، والقول بأن المراد بالموتة الأولى هو الإيجاد من العدم أقوى دليل عليهم للإقرار بالبعث بعد الموت، ولذلك ختم المولى تعالى الآية بقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

قال ابن عطية: والقول الأول هو أولى هذه الأقوال لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه ثم إن قوله أولا : ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ وإسناده آخراً الإماتة إليه تبارك وتعالى مما يقوي ذلك القول ، وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين ثم للإحياء في الدنيا ثم للإماتة فيها، قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر، وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها[1].

والقول الذي تؤيده قرائن السياق مقدم على غيره، والآية خطابها للكفار المشركين المنكرين للبعث، فأنسب الأقوال قول جمهور المفسِّرين، والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز١/١١٤

(٧) قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩

قال ثعلب: (استوى) أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أقبل، و ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾الفرقان: ٥٩ **: علا[١]، واستوى وجهه: اتصل ، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها في فعلهما وإن لم تتشابه شخوصهما، هذا الذي نعرف من كلام العرب[٢].**

وقال ابن سيده في تفسير الآية: وفَسَّره ثعلب فقال: أقبل عليها [٣].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بالاستواء في الآية:

١. قصد وأقبل إليها، أو ارتفع إليها، وكلها بمعنى واحد.

روي عن الرَّبيع بن أنس[٤]، وقال به ابن كيسان[٥]، والفرَّاء[٦]، وابن قتيبة[٧]، واليزيدي[٨]، ومكِّي[٩]، وابن جزي[١٠]، وابن كثير[١١]، والبغوي[١٢]، والألوسي[١٣].

---

(١) سيأتي الكلام عن هذه الآية في سورة الفرقان:٥٩.

(٢) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي٣/٤٠٠، وينظر: العلو للعلي الغفار١/٢١٣، واجتماع الجيوش الاسلامية١/١٦٨، ومجالس ثعلب ١/١٧٤، والوسيط للواحدي١/١١١

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٨/٦٤٠، وينظر:لسان العرب ١٤/٤١٤

(٤) جامع البيان، للطبري ١/٤٥٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٧٥

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٠٨، المحرر الوجيز١/١١٥

(٦) معاني القرآن ١/٢٥

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٠٨

(٨) غريب القرآن:٦٦

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٠٨

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل١/٤٣

(١١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٢١٣

(١٢) معالم التنزيل٧/١٦٥

(١٣) روح المعاني١/٢١٧

قال ابن كثير: والاستواء هنا تضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عُدِّي بـ إلى[1].

٢. العلو والارتفاع على الأرض، أي: أن (إلى) بمعنى (على)، وفيه صرف لها عن معناها الحقيقي.

قاله ابن جرير[2]، والشَّوكاني[3].

قال ابن جرير: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات[4].

٣. الاستيلاء على السَّماء، وهذا كسابقه صرف لمعنى (إلى) عن معناها الحقيقي[5].

وقيل: لم يأت الاستواء في اللغة بمعنى الاستيلاء.

قال داود بن علي[6]: كنا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل فقال ما معنى قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ طه: ٥ قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال: يا أبا عبد الله: إنما معناه استولى، فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل استولى، كما قال الرَّبَّغة الذُّبياني[7][8]:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد[9][10]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢١٣/١

(٢) جامع البيان، للطبري ٤٥٧/١

(٣) فتح القدير ٦٠/١

(٤) جامع البيان، للطبري ٤٥٧/١

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري ٤٥٧/١، والهداية إلى بلوغ النهاية ٢٠٨/١، والمحرر الوجيز ١١٥/١

(٦) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان الحافظ والفقيه، توفي سنة ٢٧٠هـ، وينظر: تاريخ بغداد ٣٦٩/٨، وسير أعلام النبلاء ٩٧/١٣.

(٧) زيد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني العطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي، وينظر: الشعر والشعراء: ١٥٧-١٧٣.

(٨) ديوانه: ٢٠

(٩) أمد الخيل في الرهان: مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها الذي تسبق إليه. ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (أ م د).

(١٠) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ٤١٥، واثبات صفة العلو لابن قدامة: ٢٩

قال محمد بن النضر[1] سمعت بن الأعرابي صاحب اللغة يقول : أرادني ابن أبي داود [2] أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه: ٥ استوى بمعنى: استولى، فقلت له: والله ما يكون هذا ولا وجدته[3].

لكن روي عن الأخطل[4] قوله:

قد استوى بشرٌ على العراقِ [5] من غيرِ سيفٍ ودمٍ مهراقِ [6]

وهذا على الرَّدر إن صح هذا البيت عن الأخطل، لكن كلام الله تعالى يحمل على المشهور، وما يتعلق بصفاته يحمل على أحسنها وما يليق بعظمة الله وسلطانه، لأن الاستيلاء يلزم منه أن لله تعالى منافس في الملك، وهو سبحانه وتعالى ليس له ند ولا شريك.

٤. صعود أمره وإرادته وقدرته.

قاله الأخفش[7]، والزَّمَخشَري[8]،وابن عطية[9].

٥. الاستقامة في خلقه للسماء والأرض، فلم يلتفت إلى شيء آخر بعد خلق الأرض بل خلق السَّماء بعدها، فلم يجعل بينهما زمانا و لم يقصد شيئاً آخر.

قاله الرازي[10]، .....

---

(١) محمد بن النضر بن مساور المِروَزِي، وتوفي سنة ٢٣٩هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء١١/١٥٣، ٤٦٤

(٢) هو داوود بن علي، ينظر:١٣٢

(٣) اجتماع الجيوش:٢٦٥

(٤) غياث بن غوث التغلبي النصراني، شاعر أموي، توفي سنة ٩٠هـ، وينظر: الشعر والشعراء:٣٩٣، وسير أعلام النبلاء٤/٥٨٩.

(٥) العراق: تقع شمال شبه جزيرة العرب، ويحدها من الشمال تركيا وإيران، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الجنوب المملكة العربية السعودية والكويت، ومن الشرق إيران . ينظر: معجم البلدان٤/٩٣، وموسوعة المدن العربية:٢٢٧.

(٦) لم أجده في ديو انه، و لم ينسب إليه إلا عند ابن عطية، المحرر الوجيز ١/١١٥، وينظر : الأسماء والصفات للبيهقي:٤١٣

(٧) معاني القرآن١/٥٥

(٨) الكشاف١/١٢٧

(٩) المحرر الوجيز١/١١٥

(١٠) مفاتيح الغيب١/١٧٠

والبيضاوي[1][2].

النتيجة:

الاستواء في لغة العرب على خمسة أوجه:

١. الإقبال إلى الشيء وقصده، كما في قوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩.

٢. العلو على الشيء، كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾الفرقان: ٥٩.

٣. الاعتدال عن الاعوجاج، تقول: طريق ومنهج معتدل أي غير معوج.

٤. اذا انتهى شباب الرجل وقوته، يقال : استوى. كما في قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ﴾القصص: ١٤.

٥. الاستيلاء والاحتواء، يقال: استوى فلان على المملكة، بمعنى: احتوى عليها وحازها. قال الفرَّاء : الاستواء في كلام العرب على جهتين : إحداهما أن يَستوِيَ الرجلُ ويَنتهي شَبابُه وقوَّتُه، أو يستوي من اعوجاج، فهذان وجهان ، ووجهٌ ثالث أن تقول: كان فلانٌ مُقبِلاً على فلان ثم استَوى عليَّ وإليّ يُشاتِمُني، على معنى: أقبلَ إليَّ وعَليّ ، فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩، والله أعلم[3] .

والراجح مما تقدم القول الأول، وهو الذي أصاب اللغة والمعنى الصحيح من غير تحريف أو تأويل إلى معنى بعيد.

فالقول بالعلو على السَّماء وأن (إلى) بمعنى (على) ضعيف، لأن الله تعالى لم يستوِ على السَّماء أبداً، بل على العرش كما نص على ذلك القرآن.[4]

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد الشافعي والمفسِّر، توفي سنة ٦٨٥هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/٢٤٨، وطبقات الشافعية، للسبكي٨/١٥٧.

(٢) أنوار التنزيل١/١٣٢

(٣) معاني القرآن ١/٢٥، وينظر: جامع البيان، للطبري ١/٤٥٦-٤٥٧

(٤) سيأتي في تفسير سورة طه آية:٥، وسورة الفرقان آية:٥٩

والقول بالاستيلاء صرف لمعنى الاستواء عن معناها الحقيقي دون الحاجة إليه ،وحمل على المعنى البعيد مع رد لهذا المعنى من بعض علماء اللغة كما س بق الإشارة إليه، وكيف يكون استيلاء قبل خلق للسماء؟ وكذلك يقال في الخامس.

وأما القول بصعود القدرة والإرادة فهذا خوف من التشبيه في الكيفية غير مسلم، وعدول عن ظاهر القرآن في نسبة الأفعال إلى غير الله تعالى بلا دليل.

(٨) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠

وقال أحمد بن يحيى ثعلب وغيره : إنما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء في الأرض، فجاء قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ البقرة: ٣٠ الآية ، على جهة الاستفهام المحض، هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا[1]؟

الدِّراسة:

الخلاف في هذه المسألة حول كيف عَلِمَت الملائكة بأن هذا الخليفة سيفسد في الأرض فقالت: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ وهو لم يُخلق بعْدُ، ولا إثبات في الآية يدل على إخبار الله لها؟

وسؤال آخر: هل سؤال الملائكة على بابه استفهام محض أم سؤال إيجاب تقريري؟

الأقوال في المسألة:

القول الأول: علمت الملائكة ما كان من إفساد الجن وسفكهم الدماء في الأرض قبل الإنس، فلما أخبرها تعالى أنه سيجعل خليفة في الأرض، سألت: هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا؟ فقاسوا الشاهد على الغائب، ونوع الاستفهام استفهام محض.

كما دل على ذلك الأثر المروي عن الضَّحاك[2] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: أول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً، فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر[3] البحُور وأطراف الجبال، فلما فعل إبليس ذلك اغتر في نفسه وقال قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد. قال فاطلع الله على ذلك من قلبه ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه ،

(١) المحرر الوجيز١/١١٧، وينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٤٠٩-٤١٠، والبحر المحيط١/١٤٢

(٢) الضَّحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني المفسِّر، توفي سنة ١٠٢هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/٢٢٢، وسير أعلام النبلاء٤/٥٩٨.

(٣) جزائر جمع جزيرة، وهي القطعة اليابسة من الأرض ويحدها البحر من جميع الجهات.

فقال الله للملائكة الذين معه:﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ فقالت الملائكة مجيبين له: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وإنما بعثنا عليهم لذلك[1].

روي عن ابن عبَّاس[2]، وابن عمروﷺ[3][4]، والكلبي[5]، و الرَّبيع بن أنس وأبي العالية [6]، وقال به الزَّجاج[7]، والبغوي[8]، وأبي البقاء العُكبري[9]، وابن عثيمين[10].

القول الثاني: ليس لدى الملائكة علم بأن الإنس سوف يفسدِ في الأرض قبل إخبارهم أنهم سيجعلون خلفاء في الأرض حتى يسألوا عن هذا، ولكن في الآية اختصار للكلام الذي جرى بين الله تعالى وبين ملائكته، وأنه لما أخبرهم بأنه سيجعل خليفة في الأرض أخبرهم أيضاً أنه سيفسد في الأرض، واكتفى عن التصريح بهذا لدلالة سؤال الملائكة عنه، وهذا كثير في القرآن وأسلوب من أساليبه البلاغية، وكذلك في أشعار العرب وكلامهم[11].

ونوع الاستفهام على هذا القول استفهام محض عن الحكمة مضمن معنى الاستعظام من عصيان الخليفة لخالقه.

روي عن ابن عبَّاس، وابن مسعودﷺ، وقتادة، والحسن[12]، .....

(١) جامع البيان، للطبري ٤٨٢/١

(٢) جامع البيان، للطبري ٤٨٢/١، والدر المنثور٩٣/١-٩٥

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي الهاشمي، صحابي جليل، أسلم قبل أبيه، توفي سنة ٦٥هـ، وينظر: أسد الغابة٣٤٥/٣، والإصابة١٦٥/٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧٧/١، والدر المنثور٩٣/١-٩٥

(٥) تفسير القرآن العزيز٦٥/١، والدر المنثور٩٣/١-٩٥

(٦) جامع البيان، للطبري ٤٩٤/١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧٧/١، والدر المنثور٩٣/١-٩٥

(٧) معاني القرآن وإعرابه١٠٩/١

(٨) معالم التنزيل٧٩/١

(٩) إملاء ما من به الرحمن٢٨/١

(١٠) تفسير القرآن الكريم١١٣/١

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري ٥٠٠/١

(١٢) الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، المعروف بالحسن البصري، توفي سنة ١١٠هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١٥٠/١، وسير أعلام النبلاء٥٦٣/٤.

وابن زيد، ومحمد بن إسحاق، وابن جريج[1]، وقال به ابن جرير[2]،وابن جزي [3]،وابن كثير[4]، وأبو السعود[5][6]، والخفاجي[7][8]، والألوسي وأضاف معنى التعجب من الاستخلاف للعاصي مع عدم الاعتراض والإنكار[9].

عن السُّدِّي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عبَّاس وعن مُرَّة[10] عن ابن مسعودﷺ وعن ناس من أصحاب النَّبي ﷺ: **(لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنَّة وكان إبليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره كبر وقال ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي- هكذا قال موسى بن هارون وقد حدثني به غيره- وقال : لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون يعني: من شأن إبليس)**[11].

---

(١) جامع البيان، للطبري ٤٨٦/١-٤٩٨، و تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧٧/١-٧٨، والدر المنثور ٩٣/١-٩٥

(٢) جامع البيان، للطبري ٤٩٩/١

(٣) التسهيل إلى علوم التنزيل٤٣/١

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢١٦/١

(٥) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، أبو السعود، الإمام، العلامة، توفي سنة ٩٨٢هـ، ينظر: شذرات الذهب٥٨٤/١٠، والبدر الطالع٢٦١/١.

(٦) إرشاد العقل السليم٨٢/١

(٧) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشَّوكاني، فقيه مجتهد من أهل صنعاء باليمن، توفي سنة ١٢٥٠هـ، ينظر البدر الطالع٢١٤/٢، والأعلام ٢٩٨/٦.

(٨) عناية القاضي ١٨٦/٢

(٩) روح المعاني٢٢٣/١

(١٠) مرة بن شراحيل الهمداني السكسي، أبو إسماعيل الكوفي، روى عن أبي بكر وعمر وعلي وأبي ذر وحذيفة وابن مسعود، وثقة ابن معين، وتوفي سنة ٧٦هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء ٧٤/٤، وتهذيب التهذيب٣٨٢/٥.

(١١) جامع البيان، للطبري ٤٨٦/١

القول الثالث: علمت الملائكة أن الخليفة سيفسد في الأرض استنباطاً من لفظ (خليفة) التي تدل على خلافته على من سيفسد[1].

والاستفهام استفهام محض عن الحكمة، وقد يكون استفهام إيجاب تقريري مُضَمَّن معنى التعجب أو الاستعظام دون اعتراض أو إنكار.

القول الرابع: ليس لدى الملائكة علم بذلك، إنما سألت لأن الله أعلمهم سابقاً إذا جعل في الأرض خلقاً أفسدوا وسفكوا الدماء فسألوا: أهو الذي أعلمهم أم غيره[2]؟

روي عن قتادة[3]، وهو استفهام محض.

القول الخامس: علموا ذلك توسما وفراسة عند رؤية خلق الله تعالى لآدم عليه السلام.

قاله ابن عاشور[4].

ونوع الاستفهام استفهام محض عن الحكمة مضمن معنى التعجب والاستعظام دون الإنكار أو الاعتراض.

القول السادس: أن الملائكة كانوا يعلمون بإفساد الخليفة في الأرض، كان ذلك بإخبار الله تعالى لهم أو بالقياس عن الجن الذين كانوا في الأرض أو أي وسيلة علموا بها عن ذلك.

ونوع الاستفهام منهم استفهام إيجاب للتقرير.

قاله أبو عبيدة[5]، والأخفش[6].

واستشهدوا بقول جرير[7] لعبد الملك بن مروان[8]:

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٤٠٩، والبحر المحيط١/١٤٢

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن١/٤١٠

(٣) تفسير عبدالرزاق١/٦٥، وينظر: المحرر الوجيز١/١١٧، والجامع لأحكام القرآن١/٤١٠

(٤) التحرير والتنوير١/٤٠٣

(٥) مجاز القرآن١/٣٥، وينظر: البحر المحيط١/١٤١

(٦) معاني القرآن١/٥٦

(٧) جرير بن عطية بن الخطفي التميمي، أبو حَرْزَة البصري، شاعر أموي، توفي سنة ١١٠هـ، وينظر: الشعر والشعراء:٣٨١، وسير أعلام النبلاء٤/٥٩٠.

(٨) عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو الوليد القرشي الخليفة الأموي، توفي سنة ٨٦هـ، وينظر: تاريخ بعداد١٠/٣٨٨، وسير أعلام النبلاء٤/٢٤٦.

ألستم خـــير من ركب المطايـا وأنـــدى العالمين بطـــون راح[1][2]

وقال الزَّمَخشَري والبيضاوي[3]، استفهام إيجاب مُضمَّن معنى التعجب على الاستخلاف للعاصي دون اعتراض أو إنكار.

النتيجة:

الراجح القول الثاني ويؤيده أنه اصطلاح القرآن في الكثير من الآيات الحذف لبعض المعنى ويدل عليه سياق الآية أو آية أخرى.

وأما نوع الاستفهام فهو استفهام محض عن الحكمة في استخلاف العُصاة في الأرض مضمن معنى التعجب والاستعظام لعصيان الخليفة لربه دون اعتراض أو إنكار.

قال ابن عاشور: والاستفهام المحكي عن كلام الملائكة محمول على حقيقته مضمن معنى التعجب والاستبعاد من أن تتعلق الحكمة بذلك، فدلالة الاستفهام على ذلك هنا بطريق الكناية مع تطلب ما يزيل إنكارهم واستبعادهم فلذلك تعين بقاء الاستفهام على حقيقته خلافاً لمن توهم الاستفهام هنا لمجرد التعجب[4].

والقول الأول ضعيف لضعف الأثر المروي فيه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما فهو من طريق بشِر بن عمارة[5] عن أبي رَوق[6] عن الضَّحاك عن ابن عبَّاس وبشر ضعيف[7]، وأثر القول الثاني أصح منه، ولذلك أخرجه ابن أبي حاتم[8] في تفسيره الذي اعتمد فيه أصح ما ورد في الباب.

---

(١) أي: أحسن ذكراً بين القبائل.

(٢) ديوان جرير :٩٣

(٣) الكشاف١/١٢٩، وأنوار التنزيل ١/١٣٥، بتصرف

(٤) التحرير والتنوير١/٤٠٢

(٥) بشر بن عمارة القهستاني، روي عن أبي روق عطية بن الحار ث، وضعفه أبو حاتم والبخاري والنسائي، وينظر: تهذيب التهذيب١/٣٤٥

(٦) عطية بن الحارث الهمداني الكوفي، المعروف بأبي روق، قال أحمد والنسائي: ليس به بأس، وقال ابن معين: صالح، وينظر: تهذيب التهذيب٤/١٣٨

(٧) ينظر: تهذيب التهذيب١/٣٤٥.

(٨) عبد الرحمن بن محمد بن إد ريس الرازي الحنظلي العطفاني الحنبلي، ابن أبي حاتم، أبو محمد الحافظ، توفي سنة ٣٢٧هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/٢٨٥، وطبقات الحنابلة٢/٥٥.

قال ابن جرير: وإنما تركنا القول بالذي رواه الضَّحاك عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ووافقه عليه الرَّبيع بن أنس وبالذي قاله ابن زيد في تأويل ذلك، لأنه لا خبر عندنا بالذي قالوه من وجه يقطع مجيئه العذر ويلزم سامعه به الحجة، والخبر عما مضى وما قد سلف لا يدرك علم صحته إلا بمجيئه مجيئا يمتنع منه التَّغاب والتَّواطُؤ ويستحيل منه الكذب والخطأ والسَّ هو، وليس ذلك بموجود كذلك فيما حكاه الضَّحاك عن ابن عبَّاس ووافقه عليه الرَّبيع ولا فيما قاله ابن زيد.

فأولى التأويلات إذ كان الأمر كذلك بالآية، ما كان عليه من ظاهر التنزيل دلالة مما يصح مخرجه في المفهوم[1].

وأما الأقوال الأخرى منها ما كان مستنده كمستند القول الأول أو ما كان مبناه على الاستنباط دون دليل قاطع، والله تعالى أعلم.

(١) جامع البيان، للطبري ١/٥٠٠

(٩) قوله تعالى :﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ البقرة: ٣١

(عَرَضهُم) –بالميم– لا تكون إلا للأشخاص فإذا قا ل(عَرَضهُن)، و(عَرَضهَا) فهو لغير الأشخاص ولا تكون (عَرَضَهُن) إلاّ للأسلم، وتكون (عَرَضَهَا) للأسماء والأشخاص[١].

الدِّراسة:

يدور كلام أبي العبَّاس حول هل الذي عرضه تعالى على الملائكة الأسماء أم المُسَمَّيات أي: الأشخاص؟

القول الأول: أنها المُسَمَّيات أي: ذوات الأسماء.

روي عن ابن عبَّاس، وابن مسعود ﷺ، ومجاهد[٢]، وقال به الف رَّاء[٣]، وأبو عبيدة [٤]، والأخفش[٥]، والزَّجاج[٦]، والماوردي[٧]، والبغوي[٨]، والزَّمَخشَري[٩]، وابن عطية[١٠]، وابن

(١) مجالس ثعلب١/٢٦٥

(٢) جامع البيان، للطبري ١/٥٢٠، وينظر: الدر المنثور١/١٠١

(٣) معاني القرآن للفراء١/٢٦

(٤) مجاز القرآن١/٣٦

(٥) معاني القرآن١/٥٦

(٦) معاني القرآن وإعرابه١/١١٠

(٧) النكت والعيون١/٩٩

(٨) معالم التنزيل١/٨٠

(٩) الكشاف١/١٣٠

(١٠) المحرر الوجيز١/١٢١

الجوزي[1]، والبيضاوي[2]، ابن جزي[3]، وأبو حيَّان[4]، والسَّمين الحلبي[5]، وابن كثير[6]، وأبو وأبو السعود[7]، والشَّوكاني[8]، والألوسي[9]، والشنقيطي[10][11]، وابن عاشور[12].

ودليلهم ما ذكره ثعلب رحمه الله تعالى [13]، وكذلك قوله تعالى :﴿ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ فاسم الإشارة عائد على الأشخاص[14].

وأيضاً قال البيضاوي: لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الأشياء، سِيَّما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ[15].

القول الثاني: أنها الأسماء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد، وقتادة[16].

---

(١) زاد المسير١/٦٣

(٢) أنوار التنزيل ١/ ١٣٧

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل١/٤٤

(٤) البحر المحيط١/١٤٦

(٥) الدر المصون١/٢٦٣

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٢٢٤

(٧) إرشاد العقل السليم١/٨٤

(٨) فتح القدير ١/٦٤

(٩) روح المعاني١/٢٢٦

(١٠) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد الجكني الشنقيطي، المفسِّر، توفي سنة ١٣٩٣هـ، وينظر: ترجمته في مقدمة أضواء البيان من كلام الشيخ عطية محمد سالم يرحمه الله، وكتاب (ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي): ٩-٢٢٩.

(١١) أضواء البيان١/٧٢

(١٢) التحرير والتنوير١/٤١٢

(١٣) وينظر: معاني القرآن، للفراء١/٢٦

(١٤) ينظر: معاني القرآن، للأخفش١/٥٦

(١٥) أنوار التنزيل ١/ ١٣٧

(١٦) جامع البيان، للطبري ١/٥٢٠-٥٢١

واستدلوا بقراءة ابن مسعود ﷺ(عَرَضهُن) أنها للأسماء، وقراءة أبي ﷺ[1] (عَرَضهَا) تشمل الأسماء والأشخاص[2].

النتيجة:

الراجح ما ذهب إليه جمهور المفسِّرين من عود الضمير على المُسَمَّيات وإن لم يكن لها ذكر، والقاعدة: ضمير الغائب قد يعود على غير ملفوظ به كالذي يفَسَّره سياق الكلام، وما ذكر من أدلة على هذا القول يؤيد ترجيحه على القول الثاني، والله تعالى أعلم.

قال ابن عطية: والذي يظهر أن الله تعالى علم آدم الأسماء وعرض مع ذلك عليه الأجناس أشخاصا ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها آدم ثم إن آدم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا[3].

(١) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو المنذر صحابي حليل، توفي سنة ٣٠هـ، وينظر: أسد الغابة١/١٦٨، والإصابة١/١٨٠.

(٢) ينظر: إعراب القراءات الشواذ١/١٤٥، والبحر المحيط١/١٤٦، وقراءة الجمهور(عَرَضَهُم).

(٣) المحرر الوجيز١/١٢١

(١٠) قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾البقرة: ٣٦

وقرىء: (فأزلهما الشَّيطان عنها)، وقرىء: (فأزالهما) أي: فنحَّاهُما، وقيل : أزلَّهما الشَّيطان أي: كسبَهُمَا الزَّلة، وفسَّره ثعلب فقال: أزلَّهما في الرأي[1].

وقوله عز وجل﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾، فَسَّره ثعلب فقال : معناه نَحَّاهما عن موضعِهما[2].

الدِّراسة:

قول ثعلب –رحمه الله– في توجيه قراءة حمزة والجمهور.

قرأ حمزة: (**فأزالهما**) بألف، أزَالَّ منْ الزَّوال على معنى الإزالة، أي: أن الشَّيطان أزالهما ونَحَّاهما عن ما كان فيه.

وقرأ الجمهور: (**فأزلَّهما**) بتشديد اللام بدون ألف، زَل من الزلل، أي: أن الشَّيطان خَطَّأهم وأوقعهم في الزَّلَلِ والخَطِيئةِ، وتكون أيضاً بمعنى التنحية لأن الزَّلة هي سقوط في الخطيئة، إذ فيها معنى الزوال وهو الخروج والبُعد عن طريق الاستقامة[3].

قال الأزهري: من قرأ (**فأزالهما**) فهو من زَال يَزُول ، ومعناه فرَّحَّاهما.

ومن قرأ (**فأزلَّهما**) من زَلَلْتُ أَزِلُّ وأَزَلَلْتُ غَيْرِي، ولَزَلَلْتُ وجهان:

يصلح أن تكون الخطيئة فأزَلَّهما الشَّيطان، أي: أكسبَهُمَا الزَّلة، ويصلح أن يكون (**فأزَلَّهما**) أي: نَحَّاهما، وكلتا القِراءتين جَيِّدة حسنة[4].

قال السَّمين الحلبي: فرَدَّدَ قراءة الجماعة إلى قراءة حمزة، أو نَرُدَّ قراءة حمزة إلى قراءة الجماعة بأن نقول: معنى أزالهما أي: صرفهما عن طاعة الله تعالى فأوقعهما في الزَّ لة لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزَّلة سبب الزوال[5].

---

(١) لسان العرب ٣٠٦/١١، والمحكم والمحيط الأعظم ٦/٩، ١٠٥

(٢) لسان العرب ٣١٤/١١

(٣) ينظر: البحر المحيط١/١٦٠-١٦١.

(٤) القراءات وعلل النحويين فيها ٤٥/١، وينظر: معاني القرآن، للاخفش٦٧/١، وجامع البيان، للطبري ٥٦٠/١، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج١١٥/١، والهداية إلى بلوغ النهاية٢٣٦/١

(٥) الدر المصون٢٨٨/١

قال ابن خالويه: الحُجَّة لمن أثبت الألف أن يجعله من الزَّوال والانتقال عن الجنَّة والحُجَّة لمن طرحها أن يجعله من الزَّلل[1].

النتيجة:

من خلال ما تقدم يظهر احتمال الآية لكلا المعنيين الزَّلل والإزالة، وإن كان معنى الإزالة أقوى لاحتمال كلا القراءتين له والمجيء بحرف (عن) المُضمَّن معنى الإزالة، ولا يكون هناك إعادة لمعنى الإزالة والنحَّية والإخراج في جملة (**فأخرجهما مما كان فيه**) بعد قوله(**فأزلهما الشيطان عنها**) بل تكون جملة تفسيرية لها، والله تعالى أعلم.

(١) الحجة في القراءات السبع: ٢٨

(١١) قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠

العهد الذي أخذت عليكم في ظهر آدم عليه السلام(١).

الدِّراسة:

أربعة أقوال:

١. العهد الذي أخذه تعالى على بني آدم عندما أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام(٢).

٢. التصديق بالنَّبي ﷺ والاعتراف بنبوته كما ظهر لهم في كتبهم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما(٣)، وقاله القاسمي(٤)(٥).

٣. الإيمان بالله وبرسوله ﷺ وتصديقه وطاعته وعدم معصيته، كما أخذه عليهم في كتبهم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و السُّدِّي، وابن جريج(٦)، وقتادة ومجاهد(٧)، وقاله ابن جرير(٨)، والقرطبي(٩)، وابن جزي(١٠)، والشَّوكاني(١١)، والشنقيطي(١٢).

---

(١) مجالس ثعلب١/٨٦

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ١/٤٣٦

(٣) جامع البيان، للطبري ١/٥٩٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٩٥، وينظر: الدر امنثور١/١٢٤

(٤) محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم بن صالح الحلاق القاسمي الدمشقي، إمام الشام في عصره، توفي ١٣٣٢هـ، وينظر: الأعلام٢/١٣٥، ومعجم الشيوخ ١/١٧٧.

(٥) محاسن التأويل١/٢٨٤

(٦) جامع البيان، للطبري ١/٥٩٧-٥٩٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٩٥، وينظر: الدر المنثور١/١٢٤

(٧) معالم التنزيل١/٨٧

(٨) جامع البيان، للطبري ١/٥٩٦

(٩) الجامع لأحكام القرآن ٢/٨

(١٠) التسهيل لعلوم التنزيل١/٤٥

(١١) فتح القدير١/٧٤

(١٢) أضواء البيان١/٧٤

قال ابن جرير: وهو في هذا الموضع عهد الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد ﷺ أنه رسول وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة أنه نبي الله وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله[1].

٤. دين الإسلام، بتوحيده وإتباع أوامره تعالى واجتناب نواهيه.

روي عن أبي العالية، وابن زيد[2]، ومقاتل[3]، وقاله الزَّمَخشَري[4]، والبيضاوي [5]، وأبو السعود[6]، والألوسي[7].

٥. الإيمان بالله تعالى وتوحيده بما أظهر لهم من الأدلة الكونية الدالة على ذلك[8][9].

النتيجة:

المراد بالعهد في الأقوال السابقة منها ما هو عام في جميع العهود التي أخذت على بني آدم ومنها ما هو خاص باليهود.

وأولى هذه الأقوال هو القول بالعهود الخاصة التي أخذها تعالى على اليهود – القول الثاني والثالث–، وأرجحهما القول الثالث لتناوله عموم العهود التي أخذت عليهم، ولدلالة القرآن عليه كما في قوله تعالى :﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ المائدة: ١٢

(١٢) **قوله تعالى:**﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ البقرة: ٤٨

---

(١) جامع البيان، للطبري ٥٩٦/١

(٢) جامع البيان، للطبري ٥٩٧/١-٥٩٨

(٣) معالم التنزيل٨٧/١

(٤) الكشاف١٤٣/١

(٥) أنوار التنزيل ١٤٧/١

(٦) إرشاد العقل ا لسليم٩٤/١

(٧) روح المعاني٢٤٤/١

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري ٤٣٦/١

(٩) ولمزيد من الأقوال في العهد ينظر: البحر المحيط١٧٥/١

جَزَى يَجْزِى إذا كفى . وأَجْزَأَ يُجْزِئ إذا قام مقامه[1].

الدِّراسة:

هل (لا تجزي) بمعنى القضاء والمكافأة، أم بمعنى الإغناء والكفاية[2]؟

١. لا تقضي، على قراءة الجمهور(لا تجزي) من جزى يَجزي، وهو الجزاء.

قاله المفضل الضبي[3][4]، والقفال[5][6]، مكِّي [7]، والبغوي [8]، والزَّمَخشَري [9]، وابن الجوزي[10]، والبيضاوي[11]، والخازن[12]، وأبو السعود[13]، والألوسي[14]، والقاسمي[15]، وابن عاشور[16].

٢. لا تغني، على قراءة أبو السمَّال العدوي[1] (لا تُجزئ)[2] من أجزأ يُجزيْ، وهو الإجزاء.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٠٣

(٢) ينظر: غريب القرآن، لابن عزيز:١٣٣، والدر المصون١/٣٣٧

(٣) المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي البغداي، أبو طالب المقرء و المفسِّر، صاحب عاصم بن أبي النجود، توفي بعد سنة ٢٩٠هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٢/٣٢٨، وسير أعلام النبلاء٤/١٣٦٢.

(٤) النكت والعيون١/١١٧

(٥) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير الشافعي، الفقيه، توفي سنة ٣٦٥هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي٢/١٩٨، وسير أعلام النبلاء١٦/٢٨٣.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب٢/٥٩

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٥٦

(٨) معالم التنزيل١/٩٠

(٩) الكشاف١/١٣٨

(١٠) زاد المسير١/٧٦

(١١) أنوار التنزيل ١/١٥١

(١٢) لباب التأويل١/٥٦

(١٣) إرشاد العقل ا لسليم١/٩٩

(١٤) روح المعاني ١/٢٥٦

(١٥) محاسن التأويل١/٢٨٧

(١٦) التحرير والتنوير١/٤٨٤

روي عن السُّدِّي، وسعيد بن جبير [٣]، وقاله ابن جرير [٤]، وابن عطية [٥]، وابن جزي [٦]، وابن كثير [٧].

٣. لا تقضي ولا تغني، أن الجزاء والإجزاء بمعنى واحد.

قاله ابن عزيز [٨] [٩]، و الواحدي [١٠]، والقرطبي [١١]، والشَّوكاني [١٢].

النتيجة:

الصحيح -والله تعالى أعلم- القول الأول وهو ما وافق توجيه قراءة الجمهور، وإن كان القول والثاني والثالث صحيح المعنى، لكن المراد في الآية هو أن كل نفس لا تقضي عن نفس شيئا، أي: لا تنوب نفس عن نفس شيئا، كما دلت عليه قراءة الجمهور.

(13) قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ البقرة: ٥٣

---

(١) قعنب بن أبي قعنب أبو السَمَّال العدوي والبصري، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، وينظر : طبقات القراء، لابن الجزري٢/٢٧.

(٢) قراءة شاذة، ينظر: مختصر الشواذ لابن خالويه:٥، وإعراب القراءات الشواذ١/١٥٧، والبحر المحيط١/١٨٩

(٣) جامع البيان، للطبري ١/٦٣٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٠٤، وينظر: الدر المنثور١/١٣٣

(٤) جامع البيان، للطبري ١/٦٣٢

(٥) المحرر الوجيز١/١٣٩

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل١/٤٧

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٢٥٦

(٨) محمد بن عزيز السجستاني العزيري، أبو بكر المفسِّر، توفي سنة ٣٣٠هـ، وينظر : طبقات المفسِّرين، للداوودي٢/١٩٥، وسير أعلام النبلاء١٥/٢١٦.

(٩) غريب القرآن، لابن عزيز:١٣٣

(١٠) الوسيط١/١٣٣

(١١) الجامع لأحكام القرآن٢/٧٥

(١٢) فتح القدير١/٨٢

(الفرقان): القرآن على حذف مفعول، التقدير: ومحمداً الفرقان، وحكي هذا عن الفرَّاء وقطرب وثعلب، وقالوا: هو كقول الشاعر [1]:

وزججن الحواجب والعيونا

التقدير: وكحلن العيون[2].

الدِّراسة:

أجمع المفسِّرون على أن المراد بالكتاب التوراة، واختلفوا في هل الفرقان عطف على الكتاب عطف مغايرة يراد به غير الكتاب، أو عطف بيان للتوراة، فيكون من باب عطف الصفات بعضها على بعض أو عطف الصفة على الموصوف.

الأقوال:

١. وصف للتوراة أنها فارقة بين الحق والباطل.

كقول الشاعر :

إلى الملك القَ رَّم[3] وابن الهُ مَ ام وليث الكتيبة في المُ زْدَحم[4] [5]

أراد: إلى الملك القرم بن الهمام ليث الكتيبة.

روي عن ابن عبَّاس، ومجاهد، وأبي العالية، و الرَّبيع بن أنس [6]، وقاله أبو عبيدة [7]، واليزيدي [8]، .....

---

(١) وهذا من باب: عطف عامل حذف وبقي معموله على عامل آخر مذكور. والبيت نسبه أبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة٥/٢٧٥٦، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٧٦ إلى جميل بن معمر، ونصه:

إذا ما الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وزَجَّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا

(٢) مفاتيح الغيب٢/٨٤، والبحر المحيط١/٢٠٢

(٣) القَرْم: السيد الشجاع والمعظم، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ق ر م).

(٤) المُزْدَحم: ساحة القتال حينما يزحم بعضهم بعضا. ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ز ح م).

(٥) ينظر: خزانة الأدب١/٤٥١، والإنصاف٢/٤٦٩، غير منسوب إلى قائله.

(٦) جامع البيان، للطبري١/٦٧٦-٦٧٧، وتفسير ابن أبي حاتم١/١٠٩، والدر المنثور ١/١٣٥

(٧) مجاز القرآن١/٤٠

(٨) غريب القرآن:٧٠

وابن جرير[١]، والزَّجاج[٢]، والزَّمَخشَري[٣]،والبيضاوي[٤]، وابن جزي[٥]، والخازن[٦]، ، وأبو وأبو حيَّان[٧]، وأبو السعود[٨]، والقاسمي[٩]، والشنقيطي[١٠].

ودليلهم وصف التوراة بذلك، في قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٨

قال ابن عاشور في ردِّ هذا القول: لئلا يلزم عطف الصفة على موصوفها إن أريد بالفرقان الكتاب الفارق بين الحق والباطل، والصفة لا يجوز أن تتبع موصوفها بالعطف ، ومن نظر ذلك بقول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم [١١]

فقد سها، لأن ذلك من عطف بعض الصفات على بعض، لا من عطف الصفة على الموصوف، كما نبه عليه أبو حيَّان[١٢].

٢. ليس وصفاً للكتاب، بل المعنى: آتينا موسى الكتاب وآتيناه ما يفرق به بين الحق والباطل.

قاله النَّحاس[١٣]، والقرطبي[١٤]، وابن كثير[١٥]،. . . . . .

(١) جامع البيان، للطبري١/٦٧٦
(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/١٣٤
(٣) الكشاف١/١٤٢
(٤) أنوارالتنزيل١/١٥٣
(٥) التسهيل لعلوم التنزيل١/٤٨
(٦) لباب التأويل١/٦١
(٧) البحر المحيط١/٢٠٢
(٨) إرشاد العقل السليم١/١٠٢
(٩) محاسن التأويل١/٢٩٠
(١٠) أضواء البيان١/٧٧
(١١) سبق تخريجه، ص:١٥١
(١٢) التحرير والتنوير١/٥٠٢، وينظر: البحر المحيط١/٢٠٢.
(١٣) إعراب القرآن، للنحاس١/٢٢٥
(١٤) الجامع لأحكام القرآن٢/١٠٧
(١٥) تفسير القرآن العظيم١/٢٦١

وابن عاشور[1].

٣. الآيات والمعجزات التي أعطيها موسى عليه السلام فرقت بين الحق والباطل.

قاله الشَّوكاني[2].

وهذا القول فرع من القول الثاني.

٤. النصر، لأنه فرق بين العدوّ والولي في الغرق والنجاة.

روي عن ابن زيد[3].

٥. انفراق البحر.

قاله مكِّي[4].

ودليله قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: ٥٠

والقول الرابع والخامس مُكَمِّلَين لبعض انفراق البحر وحدوث النَّصر بعده بالنَّجاة لموسى عليه السلام ومن معه وإغراق فرعون وقومه.

٦. الشِّرع الفارق بين الحلال والحرام.

٧. البرهان الفارق بين الكفر والإيمان.

٨. الفرج من الكرب لأنهم كانوا مستعبدين.

٩. القرآن، والمعنى أن الله آتى موسى ذكر نزول القرآن على محمد ﷺ حتى آمن به[5].

١٠. القرآن على حذف مفعول، التقدير: آتينا موسى الكتاب ومحمداً الفرقان، أي: القرآن.

قاله الفرَّاء[6]، وقطرب[7].

---

(١) التحرير والتنوير١/٥٠٢

(٢) فتح القدير١/٨٣

(٣) جامع البيان، للطبري١/٦٧٧

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٦٩

(٥) ينظر: من القول السادس إلى التاسع في البحر المحيط١/٢٠٢

(٦) معاني القرآن١/٣٧

(٧) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/١٣٤، والهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٦٩

ودليلهم قوله تعالى :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ الفرقان: ١

قال مكِّي: وهو بعيد في العربية، لا يجوز مثل هذا الإضمار، وقد رده جماعة[1].

النتيجة:

الراجح القول الأول وأن الفرقان وصف للتوراة كما أن الكتاب وصف له.

وأما اعتراض ابن عاشور، فهذا إذا قلنا أن الفرقان وصف للكتاب والصحيح أنه وصف للتوراة التي وصفت بالكتاب، فيكون من باب عطف الصفات بعضها على بعض لا من باب عطف الصفة على موصوفها.

قال ابن جرير: وإنما قلنا: هذا التأويل أولى بالآية –وإن كان محتملاً غيره من التأويل – لأن الذي قبله ذِكر الكتاب، وأن معنى الفرقان الفصَل، وقد دللنا على ذلك فيما مضى من كتابنا هذا فإلحاقه إذ كان كذلك بصفة ما وَلِيه أولى من إلحاقه بصفة ما بعُد منه[2].

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٦٩/١، قال النَّحاس: هذا خطأ في الإعراب والمعنى، أما الإعراب : فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا يكون المعطوف على الشيء خلافه .وأما المعنى: فقد قال فيه جل وعز :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ﴾ الأنبياء: ٤٨. إعراب القرآن، للنحاس ٢٢٥/١، وقال ابن عطية: وهذا ضعيف.المحرر الوجيز ١٤٤/١، وقال الرازي: وهذا تعسف شديد من غير حاجة البتة إليه . مفاتيح الغيب٨٤/٢، وقال ابن جزي: وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه. التسهيل لعلوم التنزيل٤٨/١

(٢) جامع البيان٦٧٨/١

(١٤) قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾البقرة: ٦١

أي: أوضع.

وإذا قيل بالهمزة قيل: الدَّانِىء، وهو الخَسِيس من الشُّطَّار[١].

الدِّراسة:

قرأ الجمهور(أدنَى) بدون همز، وقرأ زُهير الفرقَبِي[٢] بالهمز (أدنأَ)[٣]، ولا فرق بينهما في المعنى.

الأقوال في المسألة:

١. بمعنى: أوضع وأخسُّ قيمة، من الدَّنَاءة.

روي عن قتادة، ومجاهد، والحسن، وابن جريج[٤]، وقاله ابن جرير[٥]، وابن الجوزي[٦]، وابن جزي[٧]، والخازن[٨].

قال ابن جرير: ومعنى قوله (أدنَى) أخس وأوضع وأصغر قدراً وخطراً وأصله من قولهم: هذا رجل دنِيٌّ بين الدَّناءة وإنه لِيُدَنِّي في الأمور -بغير همز-، إذا كان يتتبع خَسِيسَهَا[٩].

٢. بمعنى: أقرب، من الدُّنو، أي: أقرب مترلة، وأقل قيمة.

قاله الفرَّاء[١٠]، والزَّجاج[١١]، ومكِّي[١٢]، والسَّمين الحلبي[١٣].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٠١

(٢) زهير الفرقبي النحوي، يعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة، وكان في زمن عاصم بن أبي النجود، وينظر : طبقات القراء، لابن الجزري١/٢٩٥

(٣) قراءة شاذة، ينظر: مختصر الشواذ ابن خالويه:٦، والمحتسب، لابن جني١/٨٨

(٤) جامع البيان، للطبري٢/٢٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٢٤، والدر المنثور١/١٤٢

(٥) جامع البيان، للطبري٢/١٩

(٦) زاد المسير١/٨٩

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل١/٤٩

(٨) لباب التأويل١/٦٦

(٩) جامع البيان، للطبري٢/١٩

(١٠) معاني القرآن١/٤٢

(١١) معاني القرآن وإعرابه١/١٤٣-١٤٤

(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٢٨٧

(١٣) الدر المصون١/٣٩٤-٣٩٥

وله وجهان:

الأول: أقل قيمة.

والثاني: أقرب لكم في الدنيا مما لكم في الآخرة.

٣. بمعنى أقرب لكم وأخسُّ قيمة، من الدُّنوِّ والدَّناءة.

قاله الواحدي[١]، والبغوي[٢].

٤. أدون، من الدُّون، بمعنى: أدون قدراً، وأقل قيمة[٣].

قاله الألوسي[٤]، والقاسمي[٥].

٥. أقرب مترلة وأدون قدراً من الدُّنوِّ والدُّون.

قاله الزَّمَخشَري[٦]، والبيضاوي[٧]، وأبو السعود[٨].

٦. أدون قدراً وأخسُّ مترلة، من الدَّلَاءة والدُّون.

قاله أبو حيَّان[٩].

النتيجة:

كلمة(أَدنَى) تحتمل ما ذكره المفسِّرون في الآية، إلا أن الألصق بالآية الدناءة والدنو.

وهذا ما يؤيده عندما نقابل كلمة (أدنَى) في الآية بضدها وهي كلمة(خير)، فيترجح حينئذ معنى أدون قيمة وأخسُّ قدراً[١٠].

ومن سبل دفع الإشكال في تفسير كلمة من الكلمات رَدُّها إلى ضِدها في الآية، وهذا كثير في القرآن، فتأمله.

---

(١) الوسيط١/١٤٦

(٢) معالم التنزيل١/١٠١

(٣) ينظر: الدر المصون١/٣٩٤-٣٩٥

(٤) روح المعاني١/٢٧٦

(٥) محاسن التأويل١/٢٩٧

(٦) الكشاف١/١٤٧

(٧) أنوار التنزيل١/١٥٧

(٨) إرشاد العقل السليم١/١٠٧

(٩) البحر المحيط١/٢٣٤

(١٠) ينظر: البحر المحيط١/٢٣٤

(١٥) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ البقرة: ٧٤ **أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، قال: (أو) إنّما هو (الواو)**[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

تعددت الأقوال في معنى (أو)، ودافع ذلك إيهام حصول الشك في وصف قلوب اليهود وهو محال على الله تعالى.

١. أنها للإباحة.

أي: إن شبهتم قساوة قلوبهم بالحجارة فأنتم مصيبون، وإن شبهتموه ا بأشد من الحجارة فأنتم مصيبون.

قاله الزَّجاج[٢]، ومكِّي[٣].

٢. أنها للتفصيل.

كقول القائل: ما أطعمتك إلا حلوا أو حامضا، وقد أطعمه النوعين جميعاً، فقائل ذلك لم يكن شاكاً أنه قد أطعم صاحبه الحلو والحامض كليهما، ولكنه أراد الخبر عما أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوَّعين، قالوا: فكذلك قوله: ﴿ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ إنما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المِثلَيْن إما أن تكون مثل الحجارة في القسوة وإما أن تكون أشد منها قسوة.

ومعنى ذلك على هذا التأويل فبعضها كالحجارة قسوة وبعضها أشد قسوة من الحجارة[٤].

قاله أبو حيَّان[٥]، وابن كثير[٦].

٣. أنها للإبهام.

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٢

(٢) معاني القرآن وإعرابه١/١٥٦

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٣١٣

(٤) جامع البيان، للطبري٢/١٣١

(٥) البحر المحيط١/٢٦٢

(٦) تفسير القرآن العظيم١/٣٠٦

إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي بـ (أو) كقوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ الصافات: ١٤٧ وكقول الله جل ذكره: ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ سبأ: ٢٤ فهو عالم أي ذلك كان.

قالوا: ونظير ذلك قول القائل: أكلت بسرة أو رطبة، وهو عالم أي ذلك أكل، ولكنه أبهم على المخاطب كما قال أبو الأسود الدؤلي[1][2]:

أحب محمداً حباً شديداً وعبَّاساً[3]وحمزةَ [4] والوصيَّ ا[5]

فإن يكُ حُبهُّم رُشداً أُصِب به ولستُ بمخطئٍ إن كان غيَّ ا

قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حب من سمى رشداً ولكنه أبهم على من خاطبه به[6].

٤. أنها للشك، وهذا حاصل في نظرة اليهود لقلوبهم، والتقدير: ثم قست قلوبكم فهي في نظركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

قاله ابن جرير[7].

٥. أن (أو) بمعنى (الواو).

بمعنى: وأشد قسوة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الإنسان: ٢٤ بمعنى: وكفوراً.

---

(١) ظالم بن عمرو بن ظالم الدؤلي، ويقال : الديلي، قاض البصرة، وأول من تكلم في النحو ونقط المصاحف، توفي سنة ٦٩هـ، وينظر: مراتب النحويين:١١، ووفيات الأعيان٢/٥٣٥.

(٢) ديوانه:١١٩

(٣) العبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عم رسول اللهﷺ، تأخر إسلامه، وتوفي سنة ٣٢هـ، وينظر: أسد الغابة٣/١٦٣، والإصابة٣/٥١١.

(٤) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عم رسول الله ﷺ، قتل في أحد سنة ٣هـ، وينظر: أسد الغابة٢/٦٧، والإصابة٢/١٠٥.

(٥) الوَصِيًّا: بنو عم النَّبي ﷺ وأقربوه، لأنهم كفلوا النَّبي ﷺ بوصية من عبد المطلب، ينظر : اللالي في شرح أمالي القالي٢/٦٤٣، ونهاية الأرب في فنون الأدب١٦/٦٤.

(٦) جامع البيان، للطبري٢/١٣١

(٧) جامع البيان، للطبري٢/١٣٣

وكما قال الشاعر:

نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربَّموسى على قدَر[1]

يعني: نال الخلافة وكانت له قدراً.

قاله الأخفش[2].

٦. بمعنى: بل، فكان تأويله عندهم فهي كالحجارة بل أشد قسوة كما قال جل ثناؤه :

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ الصافات: ١٤٧ بمعنى: بل يزيدون[3].

قاله الواحدي[4]، وابن عاشور[5].

النتيجة:

الأولى أن تحمل (أو) على أصل معناها إلا أن يكون هناك مرجح في صرفها عن ذلك.

فلوجح تلك الأقوال –والله أعلم– ما ذهب إليه ابن جرير–رحمه الله–.

قال ابن جرير: لأن أو وإن استعملت في أماكن من أماكن الواو حتى يلتبس معناها ومعنى الواو لتقارب معنييهما في بعض تلك الأماكن ، فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين فتوجيهها إلى أصلها من وجد إلى ذلك سبيلا ، أعجب إليَّ من إخراجها عن أصلها ومعناها المعروف لها[6].

(١) البيت لجرير بن عطية،ديوانه: ٢٦٧

(٢) معاني القرآن ١٠٧/١

(٣) جامع البيان، للطبري١٣٢/٢

(٤) الوسيط١٥٨/١

(٥) التحرير والتنوير٥٦٣/١

(٦) جامع البيان، للطبري١٣٢/٢

(١٦) قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ البقرة: ٧٨

ومعنى الأماني: الأكاذيب، يقال: أنت تمنيت هذا القول أي: اختلقته[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأماني جمع أمنية لها معان مشتركة من أصل واحد (منى)[٢].

١. اللاّوة.

قاله الفرَّاء[٣]، واليزيدي[٤]، والسَّمين الحلبي[٥].

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ الحج: ٥٢، أي: قرأ وتلا[٦].

وقول الشاعر:

تَمَنَّى كتابَ اللهِ أولَ ليلِهِ ... وآخرهُ لاقى حِمامَ المَقَادِرِ[٧][٨]

٢. الكذب.

أي: يتخرصون الكذب فلا يفقهون من الكتاب شيئاً لأنهم أميون.

ومنه قول عثمان بن عفان رضي الله عنه[٩]: ما تَمَنَّيْتُ منذ أسلمت.

---

(١) علل القراءات والنحويين ٥١/١، والوسيط١٦٢/١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (م ن ى)

(٣) معاني القرآن ٤٩/١

(٤) غريب القرآن:٧٤

(٥) الدر المصون١٤٤٧/١

(٦) على خلاف بين أهل العلم في معنى الآية، وهذا القول مبني على التصديق بقصة الغرانيق

(٧) حمام: بكسر الحاء قضاء الموت وقدره، ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (ح م م)

(٨) البيت لكعب بن مالك يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ينظر: المحرر الوجيز ١٦٩/١، والدر المصون١٤٤٧/١

(٩) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي، أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين، توفي سنة ٣٥هـ، وينظر: أسد الغابة٥٧٨/٣، والإصابة ٣٧٧/٤.

أي: ما كَذَبتْ[1].

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد[2]، وقاله ابن جرير[3]، وابن عطية[4].

٣. التمنِّي، أي: يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم.

كما قال تعالى : ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴾ النساء: ١٢٣، وقال :﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ البقرة: ١١١

روي عن قتادة، ومجاهد، و الرَّبيع بن أنس، وأبي العالية، وابن زيد، وابن جريج [5]، وقاله الزَّمَخشَري[6]، وأبو حيَّان[7]، وابن عاشور[8].

٤. التقدير، أي: إلا ما قدَّرَ لهم.

حكاه ابن بحر[9][10].

لا يُلفِيَنَّ وإن أَمسيتَ في حرمٍ ... حتى يُلاقي مَا يَهوَى لكَ المَنِي[11]

---

(١) ينظر: غريب القرآن، لابن عزيز:٤٨، وجامع البيان، للطبري١٥٨/٢ن والبداية والنهاية٢٩٦/١٠

(٢) جامع البيان، للطبري١٥٦/٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٥٢/١، والدر المنثور١٥٨/١

(٣) جامع البيان، للطبري١٥٧/٢

(٤) المحرر الوجيز١٧٠/١

(٥) تفسير القرآن العزيز ٧١/١، وجامع البيان، للطبري ١٥٦/٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٥٢/١، والدر المنثور١٥٨/١

(٦) الكشاف١٥٨/١

(٧) البحر المحيط٢٧٥/١

(٨) التحرير والتنوير٥٧٥/١

(٩) محمد بن بحر الأصبهاني المعتزلي، أبو مسلم المفسِّر، توفي سنة ٣٢٢هـ، وينظر : طبقات المفسِّرين، للداوودي١٠٩/٢، والأعلام٥٠/٦.

(١٠) النكت والعيون١٥٠/١

(١١) البيت لسويد بن عامر، الكنى والأسماء، للدولابي ٨٩/١، ومعجم الطبراني الكبير ١٠٤٩/١٩، وينظر : الصحاح، واللسان مادة(م ن ى)

النتيجة:

كلمة(الأماني) في اللغة محتملة لجميع ما تقدم، ولكن المراد بها في الآية على الصحيح ما وافق سياق الآية، حيث وصِفوا بأنهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون وأنهم لا يعلمون الكتاب أي: لا يدرون ما فيه فهم يتخرَّصون في حديثهم تخرص الكذَّاب، ثم وصفهم بالظن في آخر الآية مما يدل على أنسب الأقوال في المراد بالأماني أنها الأكاذيب.

قال ابن جرير: والذي يدل على صحة ما قلنا في ذلك وأنه أولى بتأويل قوله : ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ من غيره من الأقوال قول الله جل ثناؤه : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ فأخبر عنهم جل ثناؤه أنهم يتمنون ما يتمنون من الأكاذيب ظنا منهم لا يقينا ، ولو كان معنى ذلك أنهم يتلونه لم يكونوا ظانين، وكذلك لو كان معناه يشتهونه، لأن الذي يتلوه إذا تدبره علمه ولا يستحق الذي يتلو كتاباً قرأه وإن لم يتدبره بتركه التدبير أن يقال : هو ظان لما يتلو، إلا أن يكون شاكاً في نفس ما يتلوه لا يدري أحق هو أم باطل.

ولم يكن القوم الذين كانوا يتلون التوَّراة على عصر نبينا محمد ﷺ من اليهود فيما بلغنا شاكين في التوراة أنها من عند الله.

وكذلك المتمني الذي هو في معنى المتشهي غير جائز أن يقال هو ظان في تمنيه، لأن التمني من المتمني إذا تمنى ما قد وجد عينه، فغير جائز أن يقال هو شاك فيما هو به عالم، لأن العلم والشك معنيان ينفي كل واحد منهما صاحبه، لا يجوز اجتماعهما في حيز واحد، والمتمني في حال تمنيه موجود غير جائز أن يقال هو يظن تمنيه ، وإنما قيل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ والأماني من غير نوع الكتاب، كما قال ربنا جل ثناؤه :﴿ ﴾﴿ ﴾﴿سُورَةٌ فَاتِحَةُ الْبَقَرَةِ آلِعِمْرَانَ النِّسَاءِ ﴾النساء : ١٥٧ والظنَّ من العلم بمعزل، وكما قال :﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ الليل: ١٩ - ٢٠[1].

(١) جامع البيان، للطبري٢/١٥٨

(١٧) قوله تعالى :﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ البقرة: ٧٨

قال ثعلب: العرب تجعل الظنَّ علماً وشكاً وكذباً، فإن قامت براهين العلم فكانت أكبر من براهين الشكِّ فالظنُّ يقين، وإن اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشكِّ فالظنُّ شك، وإن زادت براهين الشكِّ على براهين اليقين فالظنُّ كذبٌ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾، أراد: يكذبون[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: يكذبون.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد[٢]، وقال به القرطبي[٣].

وهذا قول ثعلب -رحمه الله- بناء على القاعدة التي ذكرها.

الثاني: يشكون، ويتوهمون.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة[٤]، وقال به ابن جرير [٥]، ومكِّي [٦]، والواحدي[٧]، وابن عطية[٨]، وأبو حيَّان[٩].

النتيجة:

بناء على ترجيح الكذب في معنى الأماني[١٠]، يترجح القول الأول.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٢/٢١٩، وينظر: الإتقان في علوم القران١/٥١٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٢/١٦٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن٢/٢١٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٢/١٦٢

(٥) جامع البيان٢/١٦١

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٣٢١

(٧) التفسير البسيط٣/٩٠

(٨) المحرر الوجيز١/١٧٠

(٩) البحر المحيط١/٢٧٦

(١٠) ينظر المسألة التي قبلها.

(١٨) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ البقرة: ٨٧

(أيدناه): قويناه[١]، (وروح القدس)، يقول: من بعثنا إليه وينبغي أن يكون ملكاً[٢].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

١. جبريل.

روي عن ابن مسعودﷺ، وقتادة، و السُّدِّي، والضَّحاك، و الرَّبيع، ومحمد بن كعب، وعطية العوفي[٣][٤]، وقاله ابن جرير[٥]، و الزَّجاج[٦]، ومكِّي[٧]، والماوردي[٨]، والواحدي[٩]، وابن والواحدي[٩]، وابن عطية[١٠]، والقرطبي[١١]، والسَّمين الحلبي[١٢]، وابن كثير[١٣]، والألوسي[١٤]، والألوسي[١٤]، والشنقيطي[١٥].

---

(١) يظر: مجاز القرآن١/ ٤٥، وغريب القرآن، لليزيدي: ٧٥، وجامع البيان، للطبري٢/٢٢٢

(٢) مجالس ثعلب١/٢٦١، وفي تهذيب اللغة٥/١٤٦، واللسان٢/٤٦٥ صرَّح فقال: جبريل.

(٣) عطية بن سعد بن جنادة العوفي، أبو الحسن الشيعي التابعي، ضعيف الحديث، توفي سنة ١١١هـ، وينظر: طبقات ابن سعد٦/٣٠٤، وسير أعلام النبلاء٥/٣٢٥.

(٤) تفسير القرآن العزيز١/٧٢، وجامع البيان، للطبري٢/٢٢٢، وتفسير ابن أبي حاتم١/١٦٨، والدر المنثور١/١٦٧

(٥) جامع البيان، للطبري٢/٢٢٣

(٦) معاني القرآن وإعرابه١/١٦٨

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٣٤١

(٨) النكت والعيون١/١٥٦

(٩) الوسيط١/١٧١

(١٠) المحرر الوجيز١/١٧٦

(١١) الجامع لأحكام القرآن٢/٢٤٥

(١٢) الدر المصون١/٤٩٨

(١٣) تفسير القرآن العظيم١/٣٢١

(١٤) روح المعاني١/٣١٦

(١٥) أضواء البيان١/٨٠

ودليلهم قوله تعالى :﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣، وقوله :﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ مريم: ١٧ – ١٩.

وعن سَعِيدِ بن الْمُسَيِّب[١] قال: مَرَّ عُمَرُ[٢] في الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ[٣] يُنْشِدُ فقال: كنت أُنْشِدُ فيه، وَفِيهِ من هو خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلى أبي هُرَيْرَةَ[٤] فقال: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: أَجِبْ عَنِّي اللهم أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قال: نعم[٥].

وقال الشاعر في مدح الرَّسول ﷺ:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء [٦]

٢. اسم الله الأعظم الذي يجي به الموتى.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٧].

٣. الإنجيل.

روي عن ابن زيد[٨].

سمِّي بمثل ما سمِّي القرآن:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾الشورى: ٥٢.

---

(١) سعيد بن المُسَيِّب بن حزن بن أبي وهبي، أبو محمد القرشي المخزومي، سيد التابعين، توفي سنة٩٣هـ، وينظر:طبقات ابن سعده/١١٩، وسير أعلام النبلاء٤/٢١٧.

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي القرشي العدوي، أمير المؤمنين أبو حفص، وثاني الخلفاء الراشدين، قتل سنة٢٤هـ، وينظر: أسد الغابة٤/١٣٧، والإصابة٤/٤٨٤.

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد شاعر رسول الله ﷺ، توفي سنة٥٤هـ ، وينظر: أسد الغابة٢/٦، والإصابة٢/٥٥.

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، وقيل : عمير بن عامر، واسمه قبل الإسلام عبد شمس، صحابي جليل، توفي سنة ٥٧هـ، وينظر: أسد الغابة٦/٣١٣، والإصابة٧/٣٤٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، وباب ما جاء في قوله:(وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته)، رقم(٣٠٤٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، رقم(٢٤٨٥)

(٦) البيت لحسان بن ثابتﷺ ينظر: ديوانه:٧

(٧) جامع البيان، للطبري٢/٢٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم١/١٦٩، والدر المنثور١/١٦٧

(٨) جامع البيان، للطبري٢/٢٢٣

٤. حفظة على الملائكة.

روي عن ابن أبي نجيح[١][٢].

النتيجة:

لدلالة الكتاب والسنة والشاهد الشعري واختيار جمهور المفسِّرين يترجح القول الأول، والله تعالى أعلم.

قال ابن جرير: وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل، لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به كما أخبر في قوله :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾المائدة: ١١٠.

فلو كان الروح الذي أيده الله به هو الإنجيل لكان قوله : ﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ ، ﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ تكرير قول لا معنى له.

وذلك أنه على تأويل قول من قال : معنى إذ أيدتك بروح القدس إنما هو إذ أيدتك بالإنجيل وإذ علمتك الإنجيل، وهو لا يكون به مؤيداً إلا وهو معلمه.

فذلك تكرير كلام واحد من غير زيادة معنى في أحدهما على الآخر، وذلك خلف من الكلام والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة.

وإذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من زعم أن الروح في هذا الموضع الإنجيل وإن كان جميع كتب الله التي أوحاها إلى رسله روحاً منه لأنها تحيا بها القلوب الميتة وتنتعش بها النفوس المولية وتهتدي بها الأحلام الضالة[٣].

---

(١) عبد الله بن يسار الثقفي المكّي المعتزلي، أبو يسار المفسِّر، تابعي التابعي، توفي سنة ١٣١هـ، وينظر: طبقات المفسِّرين، للداوودي١/٢٥٨، وسير أعلام النبلاء٦/١٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٦٩

(٣) جامع البيان، للطبري٢/٢٢٤، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية١/٣٤١

(١٩)قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ البقرة: ٨٩

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾، وهو محمد ﷺ [١].

الدِّراسة:

ظاهر الآية أن الضمير عائد على القرآن، فهو الذي جاءهم من عند الله كما نص على ذلك أول الآية.

ولكن سبب نزول الآية يدل على خلاف ذلك، حيث كان اليهود يستنصرون ب النَّبي ﷺ عليهم، ويقولون: إن نبياً يبعث ألآن نتبعه قد أضل زمانه، نقتلكم معه قتل عاد وإرم[٢]، فلما بُعث من العرب كفروا به.

روي هذا القول عن جمهور المفسِّرين من السَّلف والخلف[٣].

كما يؤيد هذا القول قوله تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ البقرة: ١٤٦.

ثم لا غرابة في عو د الضمير إلى جديد في الآية، وفي الحقيقة أنه ليس بجديد فالكفر بالكتاب هو كفر بمن نزل عليه الكتاب، والكفر بمن نزل عليه الكتاب هو كفر بالكتاب، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١/٧٤.

(٢) عاد وإرم: هم قوم النَّبي هود عليه السلام، وهم أجداده وإليهم ينسب هود بن عبد لله بن رباح بن الجارود بن عاد عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ومنازلهم بالأحقاق حبال من الر مل في اليمن. ينظر: تاريخ الأمم والملوك١/١٣٣، والبداية والنهاية١/١٢٠.

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ٢/٢٣٦-٢٤٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١/١٧١-١٧٢، والهداية إلى بلوغ النهاية١/٣٤٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٣٢٥-٣٢٦.

(٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ البقرة: ٩١

وقوله عز وجل: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾، قال: وصف فعل آبائهم وما تقدم منهم فتابعوهم –هؤلاء– على ما كانوا عليه كما تقول : قتلنا بني فلان وأنت لم تقتلهم، وإنما قتلهم آباؤهم من قبل(١).

الدِّراسة:

ليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتلة، إنما قتل الأنبياء أسلافهم فتولَّوهم على ذلك ، وساروا على عقيدتهم، ورضوا بالقتل فنسب القتل إليهم، كما أنهم حاولوا قتل نبينا محمد ﷺ(٢).

أما لماذا جاء بالمستقبل وهو يريد أسلافهم؟

قال الفرَّاء: فخاطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضي.

وذلك جائز إذا أردت بتفعلون الماضي، ويدل عليه قوله(من قبل)(٣).

وقوله تعالى :﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ ﴾ آل عمران: ١٨٣

وكما جاء الشاعر بالمستقبل ويريد الماضي:

ولقد أمُرُ على اللئ يمِ يسُ نِيُّ فمَضَيتُ عنه وقلت لا يَعنِ يني(٤)

يريد بقوله: ولقد أمر، ولقد مررت.

واستدل على ذلك بقوله: فمضيت عنه، و لم يقل: فأمضي عنه.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٠٣

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/١٧٥، والهداية إلى بلوغ النهاية١/٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن٢/٢٥٣

(٣) معاني القرآن١/٦٠، وينظر: جامع البيان، للطبري٢/٢٥٧-٢٦٠، والمحرر الوجيز١/١٧٩

(٤) البيت لشمر بن عمرو الحنفي، ينظر : الأصمعيات:١٢٦، ولرجل من بني سلول في الكتاب ١/٢٤، وخزانة الأدب١/٣٤٧ وينظر: اللسان، مادة(ث م م،م ن ى)

وجاء الحُطَيئةَ[1] بالماضي يريد المستقبل:

شهد الحُطِيئَ ة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر [2]

(١) جرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، شاعر مخضرم، توفي سنة ٤٥هـ، وينظر: أسد الغابة٢/٤٢، والإصابة٢/١٥٠، والأعلام٢/١١٨.

(٢) ديوانه:٦٨

(٢١) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤

ويقال: أرعنى سمعك أي: استمع إليّ وراعنا سمعك، وهو من قول الله عز وجل : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾، وللجمع: راعونا أسماعكم. وقرأ ابن مسعود : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾[1]، أي: كَذِباً وسُخرِياً وحُمقاً[2].

وقال ثعلب: إنما نهى الله تعالى عن ذلك لأن اليهود ك انت تقول للنبي ﷺ: راعنا أو راعونا وهو من كلامهم سب فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾وقولوا مكانها : انظرنا. قاله ابن سيده. وعندي أن في لغة اليهود راعونا على هذه الصيغة يريدون الرَّعونة أو الأرْعَن، وقد قدمت أن راعونا فاعلونا من قولك أرعني سمعك وقرأ الحسن : ﴿ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ بالتنوين قال ثعلب: معناه لا تقولوا كذباً وسخرياً وحمقاً ، والذي عليه القراءة (راعنا) غير منون[3].

الدِّراسة:

أتناول في هذه الآية مسألتين:

- ما معنى (راعنا)، على قراءة الجمهور، وقراءة الحسن.
- لماذا نهوا عن قولها؟

أولاً: معنى (راعنا) على قراءة الجمهور بدون تنوين، فيها قولان:

١. خلافاً.

قال ابن جرير: وأما (راعيت) بمعنى(خالفت) فما لا وجه له في كلام العرب[4].

---

(١) قراءة ابن مسعود ﷺ قراء بها الحسن وغيره وهي قراءة شاذة، ينظر : إملاء ما من به الرحمن ٥٦/١، ومختصر الشواذ:٩

(٢) مجالس ثعلب٢١٥/١

(٣) اللسان١٨٢/١٣، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم١٠٥/٢

(٤) جامع البيان، للطبري٣٨١/٢

روي عن عطاء بن أبي رباح[1]، ومجاهد[2].

٢. أرعنا سمعك، من الإرعاء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، والضَّحاك[3]، وأبي العالية، و الرَّبيع بن أنس، وعطية، وقتادة[4].

٣. أرعنا ونرعاك، من المراعاة، بمعنى الحفظ والرعاية والمراقبة.

قاله ابن جرير[5]، والنَّحاس[6]، وابن عطية[7]،والقرطبي[8]، والسَّمين الحلبي[9]، وابن عاشور[10]. عاشور[10].

- وأما على قراءة الحسن: الجهل والحمق والسُّخرِيا، من الرَّعونة[11].

ثانيا: لماذا نهوا عن قولها، ذكر العلماء في ذلك عدة أسباب:

١. كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والسب، فنُهي المسلمون عنها.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة، وعطية العوفي، وابن زيد، الكلبي[12].

٢. كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقولها فنُهي المسلمون عنها.

روي عن عطاء، وأبي العالية، وابن جريج[1]، وقاله الفرَّاء[2].

---

(١) عطاء بن أبي رباح أسلم، أبو محمد القرشي مولاهم المكِّي المحدث والمفسِّر التابعي، مفتي الحرم في عصره، توفي سنة١١٥هـ، وينظر:طبقات ابن سعده/٤٦٧، وسير أعلام النبلاء٥/٧٨.

(٢) جامع البيان، للطبري٢/٣٧٣، ينظر: الدر المنثور١/١٩٦

(٣) جامع البيان، للطبري٢/٣٧٤، ينظر: الدر المنثور١/١٩٦

(٤) تفسير ابن أبي حاتم١/١٩٧، ينظر: الدر المنثور١/١٩٦

(٥) جامع البيان، للطبري٢/٣٨٠

(٦) إعراب القرآن١/٢٥٤

(٧) المحرر الوجيز١/١٨٩

(٨) الجامع لأحكام القرآن٢/٢٩٣

(٩) الدر المصون٢/٥١

(١٠) التحرير والتنوير١/٦٥٠

(١١) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/٧٠، ومجاز القرآن،لأبي عبيدة١/٤٩، وغريب القرآن، لليزيدي:٧٨، وتفسير ابن أبي حاتم١/١٩٧، وينظر: الدر المثور١/١٩٦

(١٢) تفسير الفرآن العزيز١/٧٤

قال ابن عطية: ووقف هذه اللغة على الأنصار تقصير، بل هي لغة لجميع العرب فاعل من المراعاة[٣].

٣. كلمة من كلام يهودي بعينه، وكان المسلمون أخذوا بها.

روي عن السُّدِّي[٤].

وهذا غير جائز في صفة المؤمنين أن يأخذوا من كلام أهل الشرك كلاماً لا يعرفون معناه، ثم يستعملونه فيما بينهم وفي خطاب نبيهم[٥].

٤. احتمالها لمعنى المفاعلة، فقول القائل:راعنا، يحتمل معنى: أرعنا نرعك ، واحفظنا نحفظك، فأمروا أن يفردوا مسألته، احتراما وتبجيلا له.

قاله ابن جرير[٦]، والنَّحاس[٧]، وابن عطية[٨]، والقرطبي [٩]، والسَّمين الحلبي [١٠]، وابن عاشور[١١].

قال النَّحاس: قال: لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك، ولكن قولوا فَهِمنا (انظرنا) بَيِّنْ لنا[١٢].

النتيجة:

نهى تعالى المؤمنين إذا أرادوا خطاب نبيهم ﷺ أن يدعوه بألفاظ فيها فظاظة وعدم تبجيل واحترام، كما نهوا أن يجعلوا دعاءهم للرسول ﷺ كدعاء بعضهم لبعض كما قال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾النور: ٦٣ فكلمة (راعنا)

---

(١) جامع البيان، للطبري٢/٣٧٧، وتفسير ابن أبي حاتم١/١٩٧

(٢) معاني القرآن، للفراء١/٦٩

(٣) المحرر الوجيز١/١٨٩، وينظر: البحر الحيط١/٣٣٩

(٤) جامع البيان، للطبري٢/٣٧٨

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٢/٣٨١

(٦) جامع البيان، للطبري٢/٣٨٠

(٧) إعراب القرآن١/٢٥٤

(٨) المحرر الوجيز١/١٨٩

(٩) الجامع لأحكام القرآن٢/٢٩٣

(١٠) الدر المصون٢/٥١

(١١) التحرير والتنوير١/٦٥٠

(١٢) إعراب القرآن١/٢٥٤

محتملة لمعنى المساواة، فأمروا بإفراده في المسألة، وأن يستبدلوها بكلمة(انظرنا) أي: بين لنا وفهمنا ولا تتحرج وأرفق بنا.

بالإضافة إلى أن هذه الكلمة وافقت كلمة من كلمات اليهود فيها سب وسخرية، فوجد فيها اليهود باباً لِلمزِ النَّبي ﷺ جهراً، فنهى تعالى المسلمين عنها لكي لا يلمزون النَّبي ﷺ وهم لا يشعرون، ولعدم التشَّبه باليهود، دل على ذلك قوله تعالى :﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ النساء: ٤٦، كأن معنى (راعنا) عندهم اسمع لا سمعت، أو حمقاً وسخرياً، وما أجمل تفسير القرآن بالقرآن.

قال ابن جرير: ومعنى أرعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنا، فنهى الله تعالى ذكره أصحاب محمد أن يقولوا ذلك كذلك، وأن يفردوا مسألته بانتظارهم وإمهالهم، ليعقلوا عنه بتبجيل منهم له وتعظيم، وأن لا يسألوه ما سألوه من ذلك على وجه الجفاء والتجهم منهم له ، ولا بالفظاظة والغلظة تشبهاً منهم باليهود[1].

(١) جامع البيان، للطبري٢/٣٨٠

(٢٢) قوله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ البقرة: ١٠٦

قال أبو العبَّاس: التأويل أنّه نَسخها بغيرها وأقرَّ خَطّها، وهذا عندهم الأكثر والأجوَد[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى(ننسخ):

١. نبدل حكم الآية ونثبت خطها، وهذا الأكثر كما قال ثعلب.

روي عن أصحاب ابن مسعودﷺ، ومجاهد[٢]، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي [٣]، وقاله القرطبي[٤].

٢. نبدلها بغيرها.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٥]، وقاله ابن جرير[٦]، والزَّمَخشَري[٧]، وأبو حيَّان [٨]، والشَّوكاني[٩]، وابن عاشور[١٠].

٣. قبضها ورفعها.

روي عن مجاهد، و السُّدِّي[١١]، وقاله البغوي[١٢].

٤. ما ترك لم يترل.

---

(١) تهذيب اللغة١٣/٥٧، وينظر: لسان العرب١/١٦٧

(٢) جامع البيان، للطبري٢/٣٩٠

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٩٩

(٤) الجامع لأحكام القرآن،٢/٣٠٨

(٥) جامع البيان، للطبري٢/٣٨٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٩٩

(٦) جامع البيان، للطبري٢/٣٨٨

(٧) الكشاف١/١٧٥

(٨) البحر المحيط١/٣٤٢

(٩) فتح القدير١/١٢٦

(١٠) التحرير والتنوير١/٦٥٧

(١١) جامع البيان، للطبري٢/٣٨٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٩٩

(١٢) معالم التنزيل١/١٣٤

روي عن عطاء[1].

النتيجة:

النسخ في كلام العرب على وجهين[2]: النقل والإزالة، فالأول لا مدخل له في الآية، وأما الثاني فهو ما جاء في معنى أقوال العلماء في الآية، وهو منقسم إلى وجهين: الإزالة بدون إثبات بديل، والثاني الإزالة ثم إبثلت البديل[3]، وهذا الوجه هو المراد في الآية لدلالة قوله تعالى: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ وإن اختلفت صور النسخ في رفع الحكم والخط أو رفع الحكم دون الخط أو العكس، وأما قول ثعلب فهو ذكر لأكثر صور النسخ وقوعاً، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/١٩٩

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ن س خ)

(٣) ينظر: شرح الكوكب المنير ٣/٥٤٥-٤٥٩، وإرشاد الفحول٢/٧٩٧، فقد ذكروا ذهاب الجمهور إلى جواز النسخ إلى غير بدل، والآية يراد بها نسخ اللفظ لا الحكم.

(٢٣)قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾البقرة: ١٢٤

قال ثعلب: هي الخصال العشر التي في البدن والرأس[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

١. شرائع الإسلام، وهي ثلاثون سهماً.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٢]، واختاره ابن عاشور[٣].

٢. خصال عشر من سنن الإسلام.

خمس في الرأس: فرق الرأس، وقص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وخمس في الجسد: الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، والاستنجاء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة[٤]،قاله الفرَّاء[٥]، وأكثر المفسِّرين[٦].

٣. عشر خلال بعضهن في تطهير الجسد وبعضهن في مناسك الحج.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٧].

٤. من قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾البقرة: ١٢٤ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾البقرة: ١٢٨ ما ذكر بعد الكلمات.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٧/٥١، ولسان العرب١٢/٥٢٤

(٢) جامع البيان، للطبري٢/٤٩٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٢٠

(٣) التحرير والتنوير١/٧٠٣

(٤) تفسير القرآن العزيز١/٧٦، جامع البيان، للطبري٢/٥٠٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢١٩

(٥) معاني القرآن١/٧٦

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/٢٠٤، والوسيط، للواحدي١/٢٠١

(٧) جامع البيان، للطبري٢/٥٠١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٢٠

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ، ومجاهد، وعكرمة، و الرَّبيع بن أنس، وأبي صالح مولى أم هانئ[1][2].

٥. مناسك الحج خاصة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الهه عنهما[3]، وقتادة، و الرَّبيع بن أنس[4].

٦. الختان.

روي عن الشعبي[5].

٧. قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ البقرة: ١٢٧ – ١٢٩

روي عن السُّدِّي[6].

٨. ذبح إسماعيل، والنَّار، والكواكب، والشَّمس والقمر، والهجرة، والختان.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[7]، والحسن[8].

٩. النَّار.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[9].

---

(١) فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب القرشية الهاشمية، بنت عم رسول الله ﷺ، توفيت بعد سنة ٤٠هـ، وينظر: أسد الغابة٧/٣٩٢، والإصابة٨/٤٨٥.

(٢) جامع البيان، للطبري٢/٥٠١-٥٠٣، و تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٢١

(٣) جامع البيان، للطبري٢/٥٠٣

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٢١

(٥) جامع البيان، للطبري٢/٥٠٥

(٦) جامع البيان، للطبري٢/٥٠٦

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٢٠

(٨) تفسير القرآن العزيز١/٧٦، وجامع البيان، للطبري٢/٥٠٥، و تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٢١

(٩) تفسير القرآن العزيز١/٧٦

١٠. جميع ما ذكر من الخلال وغيرها مما صح ابتلاء إبراهيم عليه السلام بها.
قاله ابن جرير[١]، والزَّجاج[٢]، وابن عطية[٣]، وأبو حيَّان[٤]، وابن كثير[٥].

النتيجة:

أقوى الأقوال القول الرابع حيث جعل المراد بالكلمات ما جاء بعدها في الآية، لكن يشكل عليه أنه يعارض ظاهر القرآن فيجعل إبراهيم هو المبتلي، والله تعالى ه‍و المتم.

والصحيح أن جميع هذه الخلال والأمور التي ذكرها المفسِّرون قد ابتلي بها إبراهيم عليه السلام ووفَّى بها، فتخصيصها أو تخصيص بعضها دون بعض لا يسلم به دون دليل وحجة ثابتة، و لم يرد في ذلك عن المعصوم ﷺ شيء، وهذا هو المختار.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله عز وجل أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله بكلمات أوحاهن إليه، وأمره أن يعمل بهن، وأتمهن كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل.

وجائز أن تكون تلك الكلمات، جميع ما ذَكره مَن ذَكرنا قوله في تأويل الكلمات، وجائز أن تكون بعضه، لأن إبراهيم صلوات الله عليه قد كان امتحن فيما بلغنا بكل ذلك، فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه.

وإذ كان ذلك كذلك، فغير جائز لأحد أن يقول: عنى الله بالكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم شيئا من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر عن الرَّسول ﷺ، أو إجماع من الحجة، و لم يصح فيه شيء من ذلك خبر عن الرَّسول ﷺ بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة التي يجب التسليم لما نقلته[٦].

---

(١) جامع البيان، للطبري٢/٥٠٧

(٢) معاني القرآن وإعرابه١/٢٠٤

(٣) المحرر الوجيز١/٢٠٦

(٤) البحر المحيط١/٣٧٥-٣٧٦

(٥) تفسير القرآن العظيم/٤٠٥

(٦) جامع البيان، للطبري٢/٥٠٧، ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١/٢٠٤، والمحرر الوجيز ١/٢٠٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١/٤٠٥، وقال أبو حيَّان بعد أن ذكر ثلاثة عشر قولا: ينبغي أن تحمل على أن كل قائل منها ذكر طائفة ما ابتلي به إبراهيم إذ كلها ابتلاه بها ولا يحمل ذلك على الحصر في العدد ولا على التعيين

(٢٤) قوله تعالى : ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴾ البقرة: ١٤٨

وقال أحمد بن يحيى: التوليه ههنا إقبال(١).

الدِّراسة:

التولية تأتي بمعنى الانصراف عن الشيء مثل قوله تعالى : ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴾ آل عمران : ١١١ وقوله: ﴿ ﴿ غَفَّارٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ ﴾ التوبة: ٢٥ ، وتأتي بمعنى الإقبال على الشيء كقوله: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أي: كل من يريد وجهة فهو مستقبلها(٢).

لئلا يؤدي ذلك إلى التناقض. البحر المحيط١/٣٧٥-٣٧٦

(١) القراءات وعلل النحويين ٦٦/١

(٢) ينظر: معاني القرآن١/٨٥، وغريب القرآن، لليزيدي:٨٤، وجامع البيان، للطبري٦٧٧/٢

(٢٥) قوله تعالى :﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴾ البقرة: ١٧١

ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق بها الراعي، وهذا قول الفرَّاء[١] وثعلب، قالا جميعاً: أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي ولم يقل كالغنم، والمعنى: ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت ، فلو قال لها الراعي ارعي أو اشربي لم تدر ما يقول لها ، فكذلك الذين كفروا فيما يأتيهم من القرآن وإنذار الرَّسول، فأضيف التشبيه إلى الراعي والمعنى في المرعي، وهو ظاهر في كلام العرب يقولون: فلان يخافك كخوف الأسد، والمعنى: كخوفه الأسد، لأن الأسد هو المعروف بأنه المُخَوِّف.

قال الشاعر[٢]:

كانت فريضة ما تقول كما كان الز نا فريضة الرجم

والمعنى: كما كان الرجم فريضة الزنى[٣].

الدِّراسة:

في الآية خمسة أوجه لبيان المشبَّهوالمشبَّهبه[٤]:

الأول: ما نقله ابن الجوزي عن الفرَّاء وثعلب، تشبيه الكافر بالمنعوق وهي البهائم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، و الرَّبيع بن أنس، وعطاء[٥]، وقاله أبو عبيدة[٦]،ومكِّي[٧]، والزَّمَخشَري[١]،.....

(١) معاني القرآن١/٩٩

(٢) البيت للنابغة الج عدي، ينظر: خزانة الأدب ٤/٢٤٤، و لسان العرب، مادة (ز ن ى)، واللآلي شرح أمالي القالي١/٣٦٨

(٣) زاد المسير ١/١٧٤

(٤) ينظر: البحر المحيط١/٤٨١-٤٨٣، والدر المصون٢/٢٢٩-٢٣٣

(٥) تفسير القرآن العزيز١/٨٢، وجامع البيان، للطبري٣/٤٤-٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٨٢

(٦) مجاز القرآن١/٦٣

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٥٤٤

وابن كثير[٢].

الثاني: تشبيه للداعي والكافر بالرَّعق والمنعوق، أي: مثلك يا محمد ﷺ ومثل هؤلاء الكفار مثل الراعي مع غنمه لا يفهمون من كلامه شيء.

قاله سيبويه[٣]، واليزيدي[٤]، والزَّجاج[٥]، والبغوي[٦]،وابن عطية[٧]، والقرطبي[٨].

الثالث: تشبيه لوعظ الكفار وواعظهم وهو محمد ﷺ بالرَّعق ونعيقه لغنمه.

كما تقول: إذا لقيت فلاناً فسلم عليه تسليم الأمير. وإنما تريد به: كما تسلِّم على الأمير.

قال الشاعر[٩]:

فلستُ مُسَلِّماً ما دمت حياً ... على زيدٍ بتسليم الأميرِ

روي عن السُّدِّي[١٠]، واختاره ابن جرير[١١].

الرابع: تشبيه للكافر بالرَّعق بغنمه، أي: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء فلا يفهم من كلامه شيء مثل البهائم.

قاله قطرب[١٢].

الخامس: تشبيه للكافر بالصائح والمنادي في الجبال، أي: مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم التي لا تسمع ولا تعقل، كمثل الذي ينادي ويصيح بأعلى صوته في الجبال فلا يسمع إلا صدى صوته.

---

(١) الكشاف١/٢١٢

(٢) تفسير القرآن العظيم، ١/٤٨٠

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية١/٥٤٧، والمحرر الوجيز١/٢٣٨، والبحر المحيط١/٤٨٢

(٤) غريب القرآن:٨٦

(٥) معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٢

(٦) معالم التنزيل١/١٨١

(٧) المحرر الوجيز١/٢٣٨

(٨) الجامع لأحكام القرآن٣/١٩

(٩) أخبار الظراف والمتماجنين١/١٠٩ نسبه إلى أعرابي، وينظر: البيان والتبيين١/٥٨٢

(١٠) جامع البيان، للطبري٣/٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٨٢

(١١) جامع البيان، للطبري٣/٥٠

(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٥٤٧، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي٣/٢٠

روي عن ابن زيد[1].

والقول الرابع والخامس يشكل عليه أن الأصنام ليس فقط لا تفهم بل حتى لا تسمع والمثل على من يسمع ولكن لا يفهم[2].

السادس: أن الآية تشمل كل الأوجه المتقدمة، واختاره ابن عاشور.[3]

النتيجة:

قال ابن عطية: فذكر بعض هذه الجملة وترك البعض ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الإيجاز[4].

وهذا الحذف في الآية اسمه الاحتباك، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد مرها مقابله لدلالة الآخر عليه[5].

والآية في التشبيه -على الصحيح أنها- تشمل داعي ومدعو ودعوة، وإن لم يكن هناك ذكر للبعض واستغني عن ذلك بالإشارة له، أو ذكر لازمه أو مقابله في المشبَّهأو المشبَّه به.

فمعنى الآية أن مثل النَّبي ﷺ وهؤلاء الكفار ودعوته لهم، مثل راعي الغنم في دعائه وندائه لغنمه، والله تعالى أعلم.

---

(١) جامع البيان، للطبري٣/٤٩

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٤٨٠

(٣) التحرير والتنوير٢/١١١

(٤) المحرر الوجيز١/٢٣٨

(٥) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣/١٦٤، وسماه الزَّركَشي في البرهان في علوم القرآن ٣/١٢٩-١٣١بالحذف المقابلي.

(٢٦) قوله تعالى : ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ ﴾ البقرة: ١٧٣

قال أبو العبَّاس: إنما سمي الهلال هلالاً، لأن النَّاس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه، من قول العرب: قد أهل الرجل واستهل، إذا رفع صوته، قال الله عز وجل: ﴿ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ﴾ فمعناه: ومانودي به، ورفعت الأصوات على الذبائح لغير الله. ومن ذلك قالوا: قد أهل بالحج واستهل، معناه رفع صوته بالتلبية، ومن ذلك حديث النَّبي ﷺ في المولود:(إذا ولد لم يرث ولم يورث حتى يَسْتَهِلَّ صارخاً)[١] معناه: حتى يرفع صوته بالصرُّاخ، ليستدل بذلك على أن يسقط إلى الأرض حياً[٢].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

القول الأول: مانودي به، ورفعت الأصوات على الذبائح لغير الله.

قاله الفرَّاء[٣]، وابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥]، والزَّمَخشَري[٦]، وابن عطية[٧]، وابن عاشور[٨].

القول الثاني: ما أريد به غير الله.

قاله أبو عبيدة[٩]، واليزيدي[١٠].

القول الثالث: ما ذكر عليه من أسماء آلهتهم.

---

(١) سبق تخريجه ص:٤٩

(٢) الزاهر في معاني كلمات النَّاس:٣٥٤

(٣) معاني القرآن١/١٠٢

(٤) جامع البيان للطبري٣/٥٥

(٥) معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٣

(٦) الكشاف١/٢١٣

(٧) المحرر والوجيز١/٢٤٠

(٨) التحرير والتنوير٢/١١٩

(٩) مجاز القرآن١/٦٤

(١٠) غريب القرآن:٨٧

روي عن أبي العالية، و الرَّبيع بن أنس، وابن زيد[١]، وقاله أبوعبيدة [٢]، والقرطبي [٣]، والشوَّكاني[٤].

القول الرابع: ما ذبح لغير الله.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وابن جريج، والضَّحاك ، وعطاء، والزُّهري[٥][٦]، وقاله مكِّي[٧]، والسَّمعاني[٨]، والبغوي[٩].

قال الواحدي: وهذا قول جميع المفسِّرين[١٠].

النتيجة:

لا تعارض بين الأقوال السابقة، فالأول من التفسير باللفظ ويراد به بيان معنى اللفظ، وما بعده هو من التفسير بالمعنى لازم اللفظ وبيان المراد ومكمل له، والله تعالى أعلم.

قال ابن جرير:

وإنما قيل: وما أهل به لأنهم كانوا إذا أرادوا ذبح ما قربوه لآلهتهم سموا اسم آلهتهم التي قربوا ذلك لها وجهروا بذلك أصواتهم فجرى ذلك من أمرهم على ذلك حتى قيل لكل ذابح ذبح، سمى أو لم يسم، جهر بالتسمية أو لم يجهر: مُهلٌ.

فرفعهم أصواتهم بذلك هو الإهلال الذي ذكره الله تعالى فقال: وما أهل به لغير الله[١١].

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري٣/٥٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٢٨٣

(٢) مجاز القرآن١/٦٤

(٣) الجامع لأحكام القرن ٣/٣٣

(٤) فتح القدير١/١٧٠

(٥) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب أبو بكر القرشي الحافظ المدني، توفي سنة ١٢٤هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٥/٣٢٦، ووفيات الأعيان٤/١٧٧.

(٦) ينظر: جامع البيان للطبري٣/٥٦-٥٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٢٨٣

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٥٤٩

(٨) تفسير القرآن١/١٧١

(٩) معالم التنزيل١/١٨٣

(١٠) الوسيط١/٢٥٧

(١١) جامع البيان للطبري٣/٥٥، ينظر: البحر المحيط١/٤٨٨

(٢٧) قوله تعالى : ﴿ الْحُرُّ الْمُتَحَنَّثَةُ الصَّفُّ الْجُمُعَةُ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنُ الطَّلَاقُ التَّحْرِيمُ الْمُلْكُ الْقَلَمُ الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجُ نُوحٌ ﴾ البقرة: ١٧٥

وقال أبو العبَّاس: الصبر: الإكراه؛ يقال: أصبَر الحاكم فلاناً على يمين صبْرٍ، أي: أكرَهَه. قال: والصّبر: الجُرْأة، ومنه قول الله جلّ وعزّ : ﴿ الْمُلْكُ الْقَلَمُ الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجُ ﴾، أي: ما أجرأهم على عمل أهلِ النَّار [١].

الدِّراسة:

قول تعالى: ﴿ الْمُلْكُ الْقَلَمُ الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجُ ﴾ هذه الجملة خبرية، واختلف في نوع (ما) على أقول: فقيل: تعجبية، وقيل: استفهامية، وقيل: موصولة، وقيل : مصدرية، وقيل : نافية[٢].

وتعددت أقول أهل العلم في معنى هذه الجملة، بناء على تباين أرائهم حول معنى الصبر في الآية، هل هو على معناه المشهور، أو على معنٍ آخر؟ وإذا كان على معناه المشهور فهل هو صبر على النَّار أو على أمرٍ محذوف.

الأقوال في المسألة:

القول الأول: ما أعظم صبرهم على النَّار.

على المعنى المشهور للصبر وهو حبس النفس على المكروه وما فيه مشقة، والصبر واقع على النَّار.

قاله الأصم[٣][٤]، وابن كثير[٥]، وابن عاشور[٦].

---

(١) تهذيب اللغة ١٢/١٢٢

(٢) ينظر: الدر المصون٢/٢٤٣

(٣) الأصم أبو بكر شيخ المعتزلة، له تفسير ا لقران، توفي سنة ٢٠١هـ، وينظر: طبقات ابن سعد٧/٢٩٧، وسير أعلام النبلاء٩/٤٠٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط١/٤٩٤

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٤٨٤

(٦) التحرير والتنوير٢/١٢٥

القول الثاني: بمعنى: ما أصبرهم على عمل أهل النَّار حين تركوا الهدى وأخذوا بالضلالة، أو ما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النَّار لعملهم بأعمال أهل النَّار، على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وعلى المعنى المشهور للصبر، والصبر واقع على عمل أهل النَّار.

قاله الكسائي، وقطرب[١] ، والألوسي[٢].

القول الثالث: بمعنى: ما أجرأهم على عمل أهل النَّار.

على أن الصبر بمعنى الجُرأة، وهو واقع على عمل أهل النَّار.

روي عن قتادة، والحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، و الرَّبيع بن أنس[٣]، وقاله اليزيدي[٤]، وابن جرير[٥]، والواحدي[٦]، والزَّمَخشَري[٧]، وابن عطية[٨].

القول الرابع: بمعنى: فما الذي صبَّرهم على النَّار، ودعاهم إليها.

على أن الصبر بمعنى الجُرأة، وهو واقع على النَّار.

روي عن السُّدِّي، وابن زيد، وعطاء[٩]، وقاله أبو عبيدة[١٠].

القول الخامس: ما أعملهم بأعمال أهل النَّار.

على أن الصبر بمعنى الجُرأة، وهو واقع على عمل أهل النَّار، وهو يعود إلى القول الثالث.

روي عن مجاهد[١١].

---

(١) ينظر: البحر المحيط١/٤٩٤

(٢) روح المعاني١/٤٤١

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري٣/٦٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٢٨٦

(٤) غريب القرآن:٨٧

(٥) جامع البيان للطبري٣/٧١

(٦) الوسيط١/٢٦٠

(٧) الكشاف١/٢١٤

(٨) المحرر والوجيز١/٢٤٢

(٩) ينظر: جامع البيان للطبري٣/٦٩-٧٠

(١٠) مجاز القرآن١/٦٤

(١١) ينظر: جامع البيان للطبري٣/٦٩

النتيجة:

الراجح في نوع (ما) أنها نكرة تامة لا موصولة ولا مصدرية، وأنها في معنى الـعجب، وهذا يرجحه سياق الآية حيث أنهم اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فحالهم أهلٌ أن يتعجب منه، لأن لهم جرأة كبيرة على العمل الذي يؤديهم إلى النَّار، والله تعالى أعلم.

(٢٨) قوله تعالى : ﴿ ﴿ ﴾ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ ﴾ البقرة: ١٧٨

قال : كان النَّاس من سائر الأمم يقتلون الواحد بالواحد فجعل الله لنا نحن العفو، أن يعفو عمن قتل(١).

الدِّراسة:

الأقوال في العفو من قوله تعالى:﴿ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ ﴾:

القول الأول: عفى بمعنى ترك أي: ترك القصاص وأخذ الدِّية.

وهذا قول جمهور المفسِّرين(٢).

القول الثاني: عفى بمعنى يَسرَّ أي: أن الولي إذا جنح إلى العفو عن القصاص على أخذ الدِّية فإن القاتل مُخيرَّ بين أن يعطيها أو يسلِّم نفسه، فمرَّة يسُرَّ ومرَّة لا يسُرَّ.

قاله مالك(3) (4).

القول الثالث: العفو بمعنى الفضل والزيادة، وتكون خاصة فيمن نزلت فيهم الآية وتساقطوا الدِّيات فيما بينهم(٥)، أي: من فضل له من الطائفتين على الأخرى شيء من تلك الدِّيات فاتبِّاع بالمعروف وأداء إليه بإحسان.

روي عن السُّدِّي(١).

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٧٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ٣/١٠٤-١٠٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٢٩٤، معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٨، ومعالم التنزيل١/١٩١، وتفسير القرآن العظيم١/٤٩٠

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي المدني، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، ينسب إليه المذهب المالكي، توفي سنة ١٧٩هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٨/٤٨، وشذرات الذهب٢/٣٥٠.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز١/٢٤٦

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٩٨

القول الرابع: العفو بمعنى الفضل في دية الرجل عن دية المرأة ودية الحر عن دية العبد، فلا يقتل الرجل بالمرأة حتى يُدفع لأولياء القاتل نصف الدِّية.

روي عن علي رضي الله عنه، والحسن بن علي[٢][٣].

عن قتادة، عن الحسن، أن علياً رضي الله عنه قال في رجل قتل امرأته : إن شاءوا قتلوه وغرموا نصف الدِّية[٤].

القول الخامس: عفى بمعنى بذل، أي: من بذل له شيء من الدِّية فليقبل وليتبع بالمعروف. قاله أبو حنيفة[٥][٦].

النتيجة:

الأرجح أن المراد بالعفو ترك القصاص وأخذ الدِّية عنه، وهذا ما يؤيده سياق الآية حيث يكون القصاص مقابل الدِّية، وهو ما يوافق القولين الأول والخامس، وأما القولان الثالث والرابع فقد ربطا ذلك بسبب النزول وهو مخالف لآية المائدة: ﴿سَبَبًا فَطَرِ يِّنَ الصَّافَّاتِ مِنَ الزُّمَرِ﴾ المائدة: ٤٥ كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص سبب النزول، والقول الثاني يدخل ضمناً في معنى القول الراجح، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/١٠٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٢٩٥

(٢) الحسن بن علي ين أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو محمد سبط النَّبي ﷺ، توفي سنة ٥٠هـ، وينظر: أسد الغابة٢/١٣، والإصابة٢/٦٠.

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٩٩، والمحرر الوجيز١/٢٤٦

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٩٩

(٥) النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، مولى تيم الله بن ثعلبة، ينسب إليه المذهب الحنفي، توفي سنة ١٥٠هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٦/٣٩٠، وشذرات الذهب٢/٢٢٩.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي٣/٨٠

(٢٩) قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ( ) ﴾ ﴿ ( ) ﴾ ( ) ﴿ ( ) ﴾ ( ) ( ) ( ) ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طه الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يس الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ ق الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ ﴾ البقرة: ١٨٣ – ١٨٥

﴿ ( ) ( ) ﴾، قال: هذه الآية منسوخة . نسخها ﴿الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ ﴾[١].

الدِّراسة:

أشكل ظاهر الآية الأولى من حيث كيف يُلْزَم من له عذر كالمريض والمسافر بالقضاء ، ويترك من له طاقة وقدرة وليس له عذر بالخيار بين الصيام أو الفدية؟

وبناء على ذلك تعددت أقوال أهل العلم في توجيه المراد:

القول الأول: أن الآية الأولى في أول فرض الصيام كان على التخيير بين الصيام أو الإطعام، ثم نسخت هذه الآية بآية ﴿الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ ﴾ فأصبح الصيام على الإلزام.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٩٩

روي عن جمهور الصحابة والتابعين[1]،والمفسِّرين[2].

لكن يشكل على هذا القول أن الآية المنسوخة فيها تخيير والآية النَّاسخة فيها إلزام وجاء فيها أن الله تعالى يريد بعباده اليسر لا العسر، فكيف يكون اليسر بالإلزام بعد التخيير بين الصيام والفطر؟

ثم أمر آخر أيضاً: وهو كيف يلزَم أهل الأعذار بالقضاء، ويترك من ليس له عذر بالخيار بين الصيام أو الفطر؟

ثم إنه تبارك وتعالى في أول آيات الصيام بين أنه كتب الصيام على عباده وفرضه عليهم بمعنى ألزمه عليهم، فكيف يكون بعد الإلزام تخيير؟

لكن لعل هذا القول يُحمل على مفهوم معنى النسخ الواسع عند السَّلف والذي يشمل التخصيص، وأن الآية النَّاسخة خصصت الآية المنسوخة في الشيخ الكبير والعجوز والحامل والمرضع ونحوهم ممن لهم قدرة مطلقة، وقدرة مع المشقة والجهد[3].

القول الثاني: أن الآية الأولى في الشيخ الكبير والعجوز اللذين يطيقان الصيام رخص لهم فيه، والثانية نسخت هذا وألزمتهم بالصيام، إلا أن لا يطيقا الصيام.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتادة، و الرَّبيع[4].

لكن لا يسلم لهذا القول بأنه نسخ، بل هو من باب التخصيص لمن لا يطيق الصيام[5].

القول الثالث: أن الآية محكمة وهي في المريض والمسافر.

فإذا كانا لا يطيقا الصيام أو يطيقانه بمشقة فلهما الفطر وعليهما القضاء، وإذا كانا يطيقان الصيام وليس فيه مشقة عليهما فلهما الفطر ولكن عليهما الفدية مع القضاء.[6]

---

(١) ينظر: النَّاسخ والمنسوخ، لأبي عبيد:٤٢، النَّاسخ والمنسوخ، لابن العربي٢/٢٠، وجامع البيان، للطبري٣/١٦١-١٦٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣٠٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/١٧٨، ومعاني القرآن وإعرابه١/٢٥٢

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٣/١٤٧

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/١٦٧-١٦٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣٠٧

(٥) ينظر: النَّاسخ والمنسوخ، لأبي عبيد :٤٢-٤٨، النَّاسخ والمنسوخ، لابن العربي ٢/٢٠-٢٤، والنسخ في القرآن٢/٦٣٩

(٦) ينظر: البحر المحيط٢/٣٦

وهذا القول احتمالي وليس مؤكد، والآية ليست صريحة في إيجاب القضاء مع الفدية، بل القول بهذا قد يوهم إلزام من ليس له قدرة بالقضاء، ومن له قدرة يكون له الخيار بين الصيام والفدية!!

القول الرابع: الآية محكمة وهي في الشيخ الكبير والعجوز وأمثالهما ممن يعجزون عن الصيام أو يقدرون عليه بمشقة، فهؤلاء عليهم الفدية دون القضاء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و السُّدِّي، وسعيد بن المُسَيِّب، وعطاء، والضَّحاك[1].

وأصحاب هذا القول يقولون الطاقة هي: أدنى درجات القدرة فالغالب أن يكون معها مشقة[2].

ويؤيد هذا قراءة ابن عبَّاس رضي الله عنهما (يُطوَّقُونه) أي: يَتحَشَّمونَه ويَكَلَّفُونَه[3].

أو يكون هذا القول على تقدير (لا) النافية قبل (يطيقونه) أو تقدير(كانوا).

والتقدير بـــ(لا) ضعيف، لأن (لا) النافية لا تحذف في العربية وتقدر إلا عند القسم، وهذا ليس قسم[4].

ثم كيف يقال لمن ليس له قدرة على الصيام ﴿آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف﴾؟!!

وهذا مما يُضَعِّف هذا القول وأدلته التي تجعله في من ليس له قدرة.

النتيجة:

والذي يترجح هو حمل الآية على من له قدرة على الصيام وطاقة لكن مع المشقة والجهد كالشيخ الكبير والعجوز ونحوهم.

ويؤيده أحد معاني الطاقة أنها أدنى درجات القدرة، ولا يشكل مع سياق الآية المنسوخة ولا النَّاسخة، بل يستقيم وتكتمل به حلقة أهل الأعذار وماذا يجب عليهم.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/١٦٩-١٧٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣٠٧

(٢) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن:٥٣٢، والتحرير والتنوير٢/١٦٦

(٣) ينظر: مختصر الشواذ لابن خالويه:١١، والمحتسب لابن جني١/١١٨، وإعراب القراءات الشواذ١/٢٣١، وجامع البيان، للطبري٣/١٧٤، والبحر المحيط٢/٣٦

(٤) البحر المحيط٢/٣٦

ويؤيده أيضاً قراءة ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وما روي عنه أنها في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصيام(١)، والله تعالى أعلم.

(٣٠) قوله تعالى :﴿ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ ﴾ البقرة: ١٨٦

﴿ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ ﴾ أي: فليطلبوا إجابتي لهم إذا دعوني، قاله ثعلب(٢).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

القول الأول: الإجابة بمعنى الطاعة، أي: فليطيعوا الله تعالى.

ويكون استفعل قد جاء على معنى أفعل وهو كثير في القرآن(٣).

روي عن مجاهد، وعبد الله بن المبارك (٤)(٥)، و الرَّبيع بن أنس، وابن جريج(٦)، وقال ه أبو عبيدة(٧)، وابن جرير(٨)، والزَّجاج(٩)، ومكِّي(١٠)، والواحدي(١١)، والبغوي(١٢)، والزَّمَخشَري(١)، والزَّمَخشَري(١)، والشَّوكاني(٢)، وابن عاشور(٣).

---

(١) ينظر: سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب من قال: هي مثبتة للشيخ والحبلى، رقم(٢٣١٨).

(٢) البحر المحيط٢/٥٤، وينظر: تفسير النكت والعيون١/٢٤٣، والدر المصون٢/٢٩١

(٣) البحر المحيط٢/٤٧

(٤) عبد الله بن المبارك الحنظلي مولاهم التركي ثم المروزي، أبو عبد الرحمن الحافظ، توفي سنة ١٨١هـ، وينظر: تاريخ بغداد١٠/١٥٢، وسير أعلام النبلاء٨/٣٧٨.

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٢٢٦

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣١٥

(٧) مجاز القرآن١/٦٧

(٨) جامع البيان، للطبري٣/٢٢٥

(٩) معاني القرآن وإعرابه١/٢٥٥

(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٦١٢

(١١) الوسيط١/٢٨٥

(١٢) معالم التنزيل١/٢٠٥

قال البغوي: الإجابة من الله تعالى العطاء، ومن العبد الطاعة[٤].

القول الثاني: الإجابة بمعنى الدعاء، أي: فليدعوا الله تعالى.

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه[٥]، وأبي رجاء الخراساني[٦][٧].

القول الثالث: الإجابة على معناها الحقيقي، أي: فليطلبوا إجابتي لهم.

قال مكّي: وتحقيق اللفظ عند أهل العلم: فليستدعوا الإجابة كما يقال: استنصر إذا استدعى النصر[٨].

قاله ثعلب، وابن عطية[٩]، وأبو حيَّان[١٠].

ويكون استفعل قد جاء على معنى الطلب، كاستغفر، وهو كثير فيها[١١].

القول الرابع: التلبية[١٢].

النتيجة:

سبب تعدد الأقوال في معنى ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ هو أنها جاءت بعد قوله :﴿ٱلْمُمْتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ ٱلْجُمُعَةِ ٱلْمُنَافِقُونَ ٱلتَّغَابُنِ ٱلطَّلَاقِ ٱلتَّحْرِيمِ ٱلْمُلْكِ ٱلْقَلَمِ ٱلْحَاقَّةِ ٱلْمَعَارِجِ نُوحٍ ٱلْجِنِّ﴾ فكأن السامع لها ينتظر قول :(فليدعوني أستجب لهم)، فلما جاء قوله تعالى : ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أوهمت في المراد بالإجابة هنا وأشكلت على البعض.

---

(١) الكشاف١/٢٢٧

(٢) فتح القدير١/١٨٤

(٣) التحرير والتنوير٢/١٨٠

(٤) معالم التنزيل١/٢٠٥

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣١٥

(٦) مطر بن طهمان الوراق الخراساني، أبو رجاء نزيل البصرة، مولى علباء بن أحمر اليشكري، توفي سنة ١٢٩هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء/٤٥٢، وتهذيب التهذيب٥/٤٣٤.

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٢٢٦

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٦١٣

(٩) المحرر الوجيز١/٢٥٦

(١٠) البحر المحيط٢/٤٧

(١١) البحر المحيط٢/٤٧، وينظر: المحرر الوجيز١/٢٥٦

(١٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية١/٦١٣، و البحر المحيط٢/٤٧

فقيل هل يراد بها الطاعة أو الدعاء أو طلب إجابة الدعاء أو التلبية ؟ وهذا الأخير فيه بُعد وغريب عن سياق الآية وموضوعها.

والراجح من الأقوال المتقدمة وأقربها هو الأول والثالث فهما القريبان من معنى الإجابة، ولا يمنع حمل المعنى عليهما إذ لا تعارض بينهما وهذا يعد من ا ختلاف التنوع، واحتمال الآية لعدة أوجه يعد من إعجاز القرآن وبلاغته.

وأما القول بأن المراد بالإجابة هنا هو الدعاء، فهذا القول قيل به لأنه هو المتوقع أن يقال بعد أول الآية، فحمل معنى الإجابة عليه، لكنه مرجوح، والله تعالى أعلم.

(٣١) قوله تعالى :﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ ﴾ البقرة: ١٩٤

﴿ ﴾ قال: هذا كافأهم لما دخل مكة ، وقد كانوا منعوه في الشهر الحرام فحارب وقاتل جزاء لهم، وما كان له قبل ذلك[1].

الدِّراسة:

اختلف المفسِّرون في المراد بالشهر الحرام الأول والثاني، وتعددت أقوالهم إلى الآتي:

القول الأول: الأول هو عمرته ﷺ وأصحابه بعد عام الحديبية[2] وهي عمرة القضاء في شهر شهر ذي القعدة المحرم والثاني في صد المشركون للرسول ﷺ وأصحابه ﷺ عن مكة يوم الحديبية في نفس الشهر المحرم عام الحديبية، فهذا هو معنى ﴿ ﴾.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، و السُّدِّي، والضَّحاك، و الرَّبيع ، وابن جريج[3]، وأبي العالية[4]، وقاله ابن جرير[5]، ومكِّي[6]، والبغوي[7]، وابن عطية [8]، والقرطبي[9]، والألوسي[1].

---

(١) مجالس ثعلب ١٥٨/١

(٢) الحديبية: بلدة بين مكة والمدينة المنورة بالقرب من مكة، وقعة فيها بيعة الرضوان بين النَّبي ﷺ وأصحابه، ينظر: معجم ما استعجم٤٣٠/٢، ومعجم البلدان٢٢٧/٢.

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٣٠٥/٣-٣٠٩

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣٢٨/١

(٥) جامع البيان، للطبري٣٠٥/٣

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية٦٣٩/١

(٧) معالم التنزيل٢١٥/١

(٨) المحرر الوجيز٢٦٤/١

(٩) الجامع لأحكام القرآن٢٤٨/٣

القول الثاني: أن دخوله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم مكة يوم الفتح في الأشهر الحرم هو كما صد المشركون الرَّسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم عن مكة يوم الحديبية في شهر ذي القعدة المحرم .
هذا قول ثعلب.

القول الثالث: المراد بالشهر الحرام هو القتال فيه، فيروى أن المشركين سألوا الرَّسول ﷺ عن حكم القتال في الأشهر الحرم، فإن علموا أن القتال فيها محرم قاتلوا المسلمين فيها، فأنزل الله هذه الآية تبين حرمة القتال فيه ا وأنها أشهر عظيمة، لكن من قاتلكم فيها وابتدأكم بالقتال فقاتلوه، فخاب كيدهم وفسد مكرهم.

ويؤيد هذا القول قوله تعالى في الآية : ﴿ البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود ﴾

روي عن الحسن البصري[٢]، وقاله الزَّجاج[٣]، والشَّوكاني[٤].

النتيجة:

لا يظهر مانع من حمل الآية على المعاني الثلاثة المتقدمة، إذ لا تعارض بينها فالآية محتملة لبيان حكم القتال في الأشهر الحرم رداً لكيد المشركين، وتعليلاً لفتح مكة، وإظهاراً لنصر الله وتأييده لعباده المؤمنين.

وإن كان القول الأول هو قول الجمهور وروي عن أكثر السَّلف إلا أنه ليس هناك دليل قاطع يخصص معنى الآية بهذا القول الأول.

والقول الثالث تؤيده جملة ﴿ البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود ﴾ إلا أن الآية تحتمله وتحتمل غيره، فلا تخصيص له دون غيره، والله تعالى أعلم.

---

(١) روح المعاني١/٤٧٤

(٢) ينظر: النكت والعيون١/٢٥٢، والمحرر الوجيز١/٢٦٣، وزاد المسير١/٢٠١

(٣) معاني القرآن وإعرابه١/٢٦٤

(٤) فتح القدير١/١٩٢

(٣٢) قوله تعالى :﴿ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلاَقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الإِنسَانِ الْمُرْسَلاَتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الإِنفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الإِنشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ قُرَيْشٍ الْمَاعُونِ الْكَوْثَرِ الْكَافِرُونَ النَّصْرِ الْمَسَدِ الإِخْلاَصِ الْفَلَقِ النَّاسِ

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ البقرة: ١٩٦

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل : ﴿ الشُّورَى الزُّخْرُفِ ﴾. قال: يكون من علّة، ويكون من عدّو، ويكون من حبس وأنشد :

وما هَجْرُ ليلى أن تكون تباعَ دَت عليك، ولا أنْ أَحصرَتك شُغُلُ

ولا أن تكون النَّفس عنها نحيجةً[1] بشيءٍ ولا أن ترتضِي بِبَدِيلِ[2]

الدِّراسة:

(١) نحيحة: أي شحيحة، ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة (ن ح ح)

(٢) مجالس ثعلب ٢٧/١، والبيتان لابن مياده، ينظر : ديوانه:١٨٧، وهو الرمَّاح بن أبرد، وينظر: المحكم المحيط٣٩٣/٥، ومقاييس اللغة، مادة(حصر)، ولسان العرب، مادة(حصر)، وشواهد الكشاف٤٧٧/٤

القول الأول: الإحصار يراد به منع العلة من خوف أو مرض وأشباهه غير القهر والغلبة من منع عدو أو حبس سجن.

و الإحصار في كلام العرب على المشهور هو منع العلة من المرض وأشباهه غير القهر والغلبة، فأما منع العدو بالحبس والقهر من سلطان قاهر فإن ذلك حصر لا إحصاراً[1].

قاله أبو عبيدة[2]، والأخفش[3]، واليزيدي[4]، والزَّجاج[5]، وابن جرير[6].

لكن أصحاب هذا القول يدخلون منع العدو والحبس في حكم الآية قياساً، لا بدلالةاللفظ.

القول الثاني: الإحصار يراد به منع العدو أو حبس سجن ونحوه غلبة وقهراً.

روي عن ابن عبَّاس [7]، وابن عمر[8]، وأنس بن مالك ﷺ[9]، ومالك والشَّافعي وأحمد [10]، وقاله السَّمعاني[11]، والشِّنقيطي[12].

واستدلوا بأربعة أدلة:

الأول: بسبب النزول حيث نزلت في الحديبية ومنع المشركين للمسلمين من دخول الحرم[13].

الثاني: الآثار التي تدل على أن المُحصرَ بمرض لا يحل إلا بطواف وسعي.

---

(١) ينظر: معاني القرآن١/١١٧، و جامع البيان، للطبري٣/٣٤٤، و معاني القرآن وإعرابه١/٢٦٧

(٢) مجاز القرآن١/٦٩

(٣) معاني القرآن١/١٦٢

(٤) غريب القرآن:٨٩

(٥) معاني القرآن وإعرابه١/٢٦٧

(٦) جامع البيان، للطبري٣/٣٤٧

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٣٤٥، و تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣٣٦

(٨) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، توفي سنة ٧٣هـ، ينظر سير أعلام النبلاء٣/٢٠٣، والإصابة ٤/١٥٥.

(٩) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ، توفي سنة ٩١هـ، وينظر: أسد الغابة١/٢٩٤، والإصابة١/٢٧٥.

(١٠) ينظر: النكت والعيون١/٢٥٤-٢٥٥، ومعالم التنزيل١/٢٢١، وزاد المسير١/٢٠٤

(١١) تفسير القرآن١/١٩٦

(١٢) أضواء البيان١/١٢٨

(١٣) أخرج الأثر البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه)، رقم(٤٢٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، رقم(١٢٠١)

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لا حصر إلا حصر العدو[1].

وعن ابن عمر رضي لله عنهما قال: المحصر بمرض لا يحل حتى يطوف بالبيت، ويسعى بين الصفَّا والمروة[2].

الثالث: قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ﴾ يشير إلى أن المراد بالإحصار هنا ضد العدو المحرم، لأن الأمن إذا أطلق في لغة العرب انصرف إلى الأمن من الخوف لا إلى الشفاء من المرض.

ولذلك قال بعدها: ﴿ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ ﴾ والأمن يكون في الخوف من العدو.

الرابع: من قواعد التفسير أن الحقيقة الشرعية مقدمة على الحقيقة اللغوية.

القول الثالث: على الإحصار والحصر سواء، وهو المنع بأي عِلَّةٍ كانت من مرض أو خوف أو منعِ عدو أو حَبْسٍ في سجن.

واستدل أصحاب هذا القول على منع العدو بأدلة القول الثاني، وعلى المرض والخوف بالاستعمال اللغوي وبما روي عن الصحابة والتابعين أن من حصر عن العمرة أو الحج كان عليه هدي قبل أن يحل.

روي عن ابن مسعود،وابن عبَّاس ﷺ، ومجاهد، وعطاء، وقتادة، وعروة بن الزبير [3]، وعبدالرحمن بن زيد[4].

وقال به أبو حنيفة[5]، والفرَّاء[6]،وابن عطية[7]، وأبو حيَّان[8]، والألوسي[1]، وابن عاشور[2].

عاشور[2].

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده١/٣٦٧، والبيهقي في سننه٥/٢١٩، وقال ابن الملقن في البدر المنير ٦/٤٢٧:صحيح، وصححه ابن حجر في تلخيص الحبير٣/٩٣٤.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ١/٣٦١، والبيهقي في سننه٥/٢١٩.

(٣) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي المدني، التابعي أحد الفقهاء السَّبعة، توفي سنة ٩٤هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٤/٤٢١، وشذرات الذهب ١/٣٧٢.

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٣٤٢-٣٦٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١/٣٣٥

(٥) ينظر: النكت والعيون١/٢٥٤، وزاد المسير١/٢٠٤

(٦) معاني القرآن١/١١٧

(٧) المحرر الوجيز١/٢٦٦

(٨) البحر المحيط٢/٧٣

النتيجة:

الأدلة التي ذكرها أصحاب كل قول تدور حول أربعة أوجه:

١. المعنى اللغوي لمعنى الإحصار، وهذا يجاب عنه بأنه على المشهور ولا مانع من حمله على منع العدو لعموم أدلة القول الثاني.

٢. سبب النزول وأنه في منع العدو، يجاب عليه بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كذلك المعنى المشهور للإحصار يراد به المنع من مرض أو خوف، وما روي عن السَّلف أن من منع مرض أو نحوه فعليه هدي.

٣. الآثار المروية عن الصحابة والتابعين يُفَسِّرُ بعضها بعضاً، فالمجمَل يُفَسِّرُه المُفصَّل، ولا تعارض بينها.

٤. وأما الأمن في الآية فيحمل على المثال في ذكر حالة من حالات المنع لا على سبيل الحصر.

وبهذا يظهر شمول الآية في أن المراد بالإحصار هو منع العدو أو المنع من مرض أو خوف ، والله تعالى أعلم.

(١) روح المعاني١/٤٧٦-٤٧٧

(٢) التحرير والتنوير٢/٢٢٢

(٣٣) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ

اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ البقرة: ١٩٧

وقال ثعلب: هو أن لا يأخذ ما عليه من القشف مثل تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة وما أشبهه، فإن أخذ ذلك كله فليس هناك رفث[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بالرَّفث:

١. تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة وما أشبهه.

وهذا قول ثعلب.

٢. العرَّيض بالجماع.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن كيسان[٢]، ومحمد بن كعب، وعطاء، وأبي العالية[١]، وقاله مكِّي[٢]، وابن عاشور[٣].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١٠/١٤١، ولسان العرب٢/١٥٤

(٢) طاووس بن كيسان الفارسي اليمني، أبو عبد الرحمن التابعي الحافظ، توفي سنة ١٠٦هـ، وينظر: طبقات ابن سعده/٥٣٧، وسير أعلام النبلاء٥/٣٨

٣. الجماع.

روي عن ابن عمر، وابن عبَّاسﷺ، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، والحسن، وعمرو بن دينار [٤]، وعكرمة، و السُّدِّي، و الرَّبيع، وسعيد بن جبير، والضَّحاك، وابن زيد، والزُّهري[٥].

٤. الجماع أو التعريض بالجماع.

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما [٦]، وقاله الزَّجاج[٧]، والزَّمَخشَري[٨]، وابن كثير [٩]، والألوسي[١٠].

٥. لغو الكلام.

قاله أبو عبيدة[١١].

٦. الجماع والتعريض به، ولغو الكلام من الإفحاش في القول.

قاله ابن جرير[١٢].

قال ابن جرير: والرَّفث في كلام العرب أصله الإفحاش في المنطق -على ما قد بينا فيما مضى-، ثم تستعمله في الكناية عن الجماع.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان أهل العلم مختلفين في تأويله، وفي هذا النهي من الله عن بعض معاني الرفث، أم عن جميع معانيه، وجب أن يكون على جميع معانيه ، إذ لم يأت خبر

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٥٧-٤٦٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٦

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٦٦٠

(٣) التحرير والتنوير١/٢٣٤

(٤) عمرو بن دينار الجمحي مولاهم، الم كِّي الأثرم، أبو محمد التابعي الحافظ شيخ الحرم في زمانة، توفي سنة١٢٦هـ، وينظر:طبقات ابن سعده/٤٧٩، وسير أعلام النبلاءه/٣٠٠

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٦٣-٤٦٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٦

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٦

(٧) معاني القرآن وإعرابه١/٢٦٩

(٨) الكشاف١/٢٤٠

(٩) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٥٤٣

(١٠) روح المعاني١/٤٨٢

(١١) مجاز القرآن١/٧٠

(١٢) جامع البيان٣/٤٦٩

بخصوص الرفث الذي هو بالمنطق عند النساء من سائر معاني الرفث يجب التسليم له ، إذ كان غير جائز نقل حكم ظاهر آية إلى تأويل باطن إلا بحجة ثابتة[1].

النتيجة:

قول ثعلب لم أجد له أصل في اللغة، و لم أجد من وافقه على هذا المعنى، وأما المختار فهو قول ابن جرير وأن الرفث يشمل الجماع والتعريض به والإفحاش من القول، فهو الموافق لما جاء في القرآن :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾البقرة: ١٨٧، والموافق للمعنى اللغوي لـ(الرفث)[2]، والله تعالى أعلم.

(٣٤) قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ البقرة: ١٩٧

﴿الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ﴾ أي: أنه في ذي القعدة وذي الحجة جميعاً، لأنه كان يقدَّم ويؤخَّر، وقال: كذا فَسَّره[3].

الدِّراسة:

تعددت أقوال المفسِّرين في المراد بالجدال في الآية إلى سبعة أقوال:

الأول: المُماراة وهو أن يجادل الرجل صاحبه حتى يغضبه.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاس ﷺ، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والضَّحاك، والحسن[4]، وقاله مكِّي[5]، وأبو حيَّان[6]، والشَّوكاني[1].

---

(١) جامع البيان٣/٤٦٩

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ر ف ث)

(٣) مجالس ثعلب٢/٤٧٤

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٧٧-٤٨٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٨

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٦٦١

(٦) البحر المحيط٢/٨٧

الثاني: هو السِّبَب.

روي عن ابن عمر، وابن عبَّاس ﷺ، وقتادة[٢].

والثالث: أنه المِرَاءُ والاختلاف فِيمَنْ هو أَبَرُّهُم وأتمهم حَجّاً.

روي عن محمد بن كعب[٣].

والرابع: أنه اختلاف كان يقع بينهم في اليوم الذي يكون فيه حجهم .

روي عن القاسم بن محمد[٤][٥].

والخامس: أنه اختلافهم في مواقف الحج، أيهم المصيب موقف إبراهيم .

روي عن ابن زيد[٦]، ومالك[٧].

والسادس: أن معناه ألاّ جدال في وقته لاستقراره، وإبطال الشهر الذي كانوا يُنسِؤنه في كل عام، فربما حجوا في ذي القعدة، وربما حجوا في صفر.

روي عن مجاهد، و السُّدِّي[٨]، وقاله أبو عبيدة[٩]، وابن جرير[١٠]، وابن عطية[١١].

واختار القرطبي الخامس والسادس[١٢]، نفي الخلاف في المكان والزَّمان.

السابع: لا خصام مع الخدم والرفقاء.

قاله الزَّمَخشَري[١٣]، والألوسي[١].

---

(١) فتح القدير١/٢٠١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٨٢-٤٨٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٨

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٨٣

(٤) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي، أبو محمد التابعي الحافظ، توفي سنة١٠٦هـ ، وينظر: طبقات ابن سعده/١٨٧، وسير أعلام النبلاءه/٥٣

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٨٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٩

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٨٤

(٧) وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٩

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٨٣-٤٨٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٤٨

(٩) مجاز القرآن١/٧٠

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٤٨٧

(١١) المحرر الوجيز١/٢٧٣

(١٢) الجامع لأحكام القرآن٣/٣٢٧

(١٣) الكشاف١/٢٤٠

النتيجة:

أولى الأقوال بالصواب هو من جعل المراد بالجدال المنفي الاختلاف في الشهر الذي يقع فيه الحج سواء في تقديمه أوفي تأخيره.

ويؤيد هذا القول أمور:

١. كانت من عادات الجاهلية السرَّيئة الرَّسيء وهو تقديم الأشهر الحرم وتأخيرها، ويترتب على هذا تقديم الحج وتأخيره عن وقته الحقيقي، فجاءت الآية تنفي هذا التغيير وأنه لا اختلاف في وقت الحج بعد الآن، كما قال ﷺ في حجة الوداع:(**إن الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق السمَّوات والأرض**)[٢]، فنفى بذلك حدوث هذا التغيير والتحريف من أهل الجاهلية للزمان بعد اليوم، وجاء القرآن مؤكدا لهذا

﴿ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ

كما دل على هذا الصنيع من أهل الجاهلية قوله تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِّسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِّسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٧

٢. أن جعل المراد بالجدال هو الخصام بالباطل أو السباب ونحوه يشكل معه أنه منهي عنه على الدوام وليس في الحج فحسب، والمنهي عنه في الآية وهو الرفث والفسوق على الصحيح هي أعمال لا يجوز عملها فيه، وتجوز في غيره.

٣. لو كان الجدال من الأمور المنهي عنها وليس من الأمور التي يراد نفيها لنص عليها ﷺ ضمن الأحاديث التي تبين كرامة من اجتنب الرفث والفسوق في الحج كما ﷺ: (**من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**)[٣].

---

(١) روح المعاني ٤٨٢/١

(٢) سبق تخريجه، ص:٦٥

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، وباب فضل الحج المبرور، رقم(١٤٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج رقم(١٣٥٠)

(٣٥) قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ البقرة: ٢٠٣

﴿ قال تعالى : ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾ قال : لمن اتقى الصيد[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: ما نهي عنه الحاج في حجه.

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقتادة[٢]، وقاله ابن جرير[٣]، وابن عاشور[٤].

الثاني: إن اتّقى فيما بقي من عمره.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والسُّدِّي، وأبي العالية، و الرَّبيع، والنَّخعي[٥].

والثالث: إن اتقى قتل الصيد حتى تمضي أيام التشريق.

---

(١) مجالس ثعلب١/١١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٥٦٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٦٣

(٣) جامع البيان، للطبري٣/٥٦٥

(٤) التحرير والتنوير١/٢٦٣

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٥٦٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٦٣

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[1]، وقاله الفرَّاء[2].

النتيجة:

القول المختار الذي يؤيده السياق وهو الأول، لأن من تعجل أو من تأخر يخشى الحرج بسبب ذلك، فأخبر المولى أنه لا حرج عليه في ذلك بشرط أن يتقي ما نهي عنه في الحج من محظورات أو ترك ركن أو واجبات.

وأما قول ثعلب-رحمه الله- يدخل من ضمن هذا القول، لكن القول الأول أولى وأشمل.

(٣٦) قوله تعالى: ﴿ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ ﴾ البقرة: ٢١٩.

وقوله : المجادلة ﴿ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ ﴾ قال ثعلب: كانوا إذا قامروا[3] فقمروا أطعموا منه وتصدقوا[4].

الدِّراسة:

منافع الميسر التي كانت جائزة هي ما كانت قبل التحريم، وقد ذكر منها ثعلب -رحمه الله- الطعام والتصدق على الفقراء[5].

ومن المنافع أيضاً ما يكسبه المقامر من مال وجزور، كما كان ذلك عند العرب قبل الإسلام[6].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٥٦٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١/٣٦٣

(٢) معاني القرآن١/١٢٣

(٣) قامروا: لعبوا القمار، وقامر الرجل مقامرة وقماراً: راهنه وهو التقامر، وينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ق م ر)

(٤) المحكم والمحيط الأعظم١٠/١٨٦، ولسان العرب١٢/٥

(٥) ينظر: معالم التنزيل ١/٢٥٢، والجامع لأحكام القرآن٣/٤٤٢

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٦٧٧

ولما جاء هذا الدين الكامل، دعا أهله بل العالمين أجمعين إلى أفضل القيِّم والمبادئ الشريفة الكريمة، وحذَّرهم من الأعمال السيئة المشينة كالغش والخداع والكذب والخيانة، ونهاهم عن الميسر ووصفه بأنه رجس مع ما فيه من المنافع الظاهرة، لأن مفاسده تغلب منافعه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾ المائدة: ٩٠ فالميسر وإن كان فيه بعض الفوائد إلا أن فيه من المفاسد ما تفوق منافعه، والدين مبني على جلب المصلحة ودرء المفسدة، وعند التعارض فدرء المفسدة مقدم على جلب المنفعة ، والله تعالى أعلم.

(٣٧) قوله تعالى: ﴿طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات﴾ البقرة: ٢٢٢

عن أبي العبَّاس أنه قال في قوله عز وجل: ﴿السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف﴾ الدخان وقرىء (حتى يطَّهَّرْن)[1]، قال أبو العبَّاس: والقراءة (يطَّهَّرْن) لأن من قرأ (يطْهُرْن) أراد انقطاع الدم، (فإذا تطَهَّرْن) اغتسلن فصير معناهما مختلفا، والوجه أن تكون الكلمتان بمعنى واحد، يريد بها جميعاً الغسل، ولا يحل المسيس إلا بالاغتسال ، ويُصدِّق ذلك قراءة ابن مسعود (حتى يَطَّهَرنَّ)[2][1].

(١) قراءة عاصم من رواية شعبة، وحمزة، والكسائي، وقرأ باقي السَّبعة(حتى يَطْهُرْن)، ينظر: السَّبعة:١٤١، وجامع البيان في القراءات السبع٢/٩١٣

(٢) قراءة شاذة، ينظر: إعراب القراءات الشواذ١/٢٤٨، ومعاني القرآن، للفراء ١/١٤٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع١/٢٩٤.

الدِّراسة:

- قراءة (حتى يَطَّهَّرْن) بالتشديد، هذا على معنى أنه لا يقرب الرجل زوجته إلا بعد الاغتسال، وهذا قول الجمهور[٢].

- وقراءة (حتى يَطْهُرْن) بالتخفيف، على معنى أنه يجوز للزوج أن يقرب زوجته بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعكرمة، والحسن[٣]، وهو قول عند الحنفية[٤][٥].

النتيجة:

المعنى الراجح ما دلت عليه القراءة الأولى وهي قراءة التشديد[٦]، ويؤيده سياق الآية وهو قوله(فإذا تَطَهَّرْن) فهذا صريح في وجوب الاغتسال قبل الوطء ، وكذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه الأولى بالتاء، والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

وأما المعنى على القراءة الثانية وإن قال به بعض السَّلف، فيحمل على أنه تفسير لهذه الجملة على نحو هذه القراءة لا تفسيراً وبياناً شاملاً لحكم المسألة، لأنه يشترط الاغتسال قبل الوطء لدلالة السياق عليه (فإذا تطهرن).

قال مكِّي: فليس يجب للقارئ أن يقف على (يطهرن) في قراءة من خفف لئلا يبيح وطء الحائض إذا انقطع عنها الدم و لم تتطهر بالماء.

فأما من قرأه بالتشديد، فالوقف عليه حسن لأن معناه : يتطهرن بالماء، وقربها بعد التطهر بالماء إجماع[٧].

---

(١) تهذيب اللغة٦/٩٩، وينظر: لسان العرب٤/٥٠٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٧٣١

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٣/٧٣١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٤٠١

(٤) أصحاب المذهب الفقهي الحنفي وينسب للإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، توفي سنة خمسين ومائة بعد الهجرة، ينظر: تاريخ التشريع الإسلامي لمحمد الخضري :١٩٤، وتاريخ الفقه الإسلامي لبدران أبو العينين : ١١٨-١٢٩.

(٥) ينظر: أحكام القرآن، للجصاص١/٣٤٩

(٦) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/١٤٣، وجامع البيان، للطبري٣/٧٣٢

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٧٣٣

(٣٨) قوله تعالى :﴿ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى ﴾ البقرة: ٢٢٤

﴿ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ ﴾ أي : تصلوا[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى الدِّين

الأول: عموم أفعال الخير.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وطاوس[٢]، واختاره ابن جرير[٣]، والزَّمَخشَري [٤]، وابن عطية[٥]، والقرطبي[٦].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٠٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٤/٦، ٨

(٣) جامع البيان٤/١٢

(٤) الكشاف١/٢٦٤

(٥) المحرر الوجيز١/٣٠٠

(٦) الجامع لأحكام القرآن٤/١٤

الثاني: صلة الرحم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة، والضَّحاك، و السُّدِّي، والنَّخعي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ومكحول[1][2]، واختاره مكِّي[3].

النتيجة:

لم يخصص تعالى البِر في الآية بمعنى دون آخر، فهو على عمومه، وأفعال الخير كلها من البِر، والبِر بالأقارب من أحد معاني البِر والله تعالى أعلم.

(٣٩) قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنۡعَامِ الأَعۡرَافِ الأَنفَالِ التَّوۡبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَاهِيمَ الحِجۡرِ النَّحۡلِ الإِسۡرَاءِ الكَهۡفِ مَرۡيَمَ طٰهٰ ﴾ البقرة: ٢٣٥

قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ قال ثعلب: أَكْنَنْتُ الشيء إذا أَخفيتُه في نفسك وكَنَنْتُهُ إذا سترته بشيء[4].

الدِّراسة:

منشأ الخلاف: هل الفعل الثلاثي والرباعي من الفعل (كَنْ) و(أَكَنْ) بمعنى واحد أو بينهما فرق؟

الأقوال في المسألة:

الأول: أن أَكَنْ وكَنْ بمعنيين مختلفين.

---

(١) مكحول الأزدي العتكي البصري، أبو عبد الله التابعي، توفي سنة٢١٥هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء٥/١٦٠، وتهذيب التهذيب٥/٥١٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٤/٦-١١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٤٠٧

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٧٤٣

(٤) معالم التنزيل١/٢١٦، وزاد المسير١/٢٧٧

قال ابن جرير: أو أخفيتم في أنفسكم فأسررتموه من خطبتهن، وعزم نكاحهن وهن في عددهن، فلا جناح عليكم أيضاً في ذلك، إذا لم تعزموا عقدة النِّكاح حتى يبلغ الكتاب أجله.

يقال منه: أكَنَّ فلان هذا الأمر في نفسه، فهو يُكِنُّه إكناناً، وكنَّ إذا ستره يُكِنُّه كنّاً وكُنُوناً، وجلس في الكنِّ.

ولم يسمع كَنَنْتُ في نفسي، وإنما يقال: كَنَنْتُ في البيت أو في الأرض إذا خبأته فيه، ومنه قوله تعالى ذكره: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ الصافات: ٤٩ أي: مخبوء[1].

وقال في لسان العرب: وكَنَنْتُ الشيء: سترته وصنته من الشَّمس. و أَكْنَنْتُ في نفسي: أسررته[2].

الثاني: أن أَكَنَّ وَكَنَّ بمعنى واحد.

قال أبو زيد[3]: كَنَنْتُ الشيء وأَكْنَنْتُه في الكَنِّ، وفي النَّفسِ مثلُها[4].

والنتيجة:

الراجح القول الأول وأن بينهما فرقاً، كما قاله ثعلب -رحمه الله- وجاء في القرآن ما يدل عليه.

ومفعول (أَكْنَنْتُمْ) محذوف يعود على (ما) الموصولة في قوله (فيما عَرَّضتُم) أي: أو أَكْنَنْتُمُوه.

---

(١) جامع البيان، للطبري٤/٢٦٩، وينظر: المحرر الوجيز ١/٣١٥، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٤٧، والدر المصون٢/٤٨٢

(٢) لسان العرب١٣/٣٦١

(٣) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري البصري، أبو زيد النحوي، توفي سنة ٢١٥هـ، وينظر: إنباه الرواة٢/٣٠، وسير أعلام النبلاء٩/٤٩٤

(٤) ينظر: تهذيب اللغة٩/٣٣٤، ولسان العرب١٣/٣٦١

(٤٠) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴾ البقرة: ٢٣٨

عن أبي العبَّاس قال: صلاة الوسطى: صلاة العصر(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بالصلاة الوسطى في الآية:

الأول: العصر.

وهذا قول الجمهور من الصحابةﷺ والتابعين والمفسِّرين(٢).

الثاني:الظهر.

روي عن زيد بن ثابت(٣)، وعائشة، وأبي سعيد الخدري(١)ﷺ(٢).

---

(١) تهذيب اللغة٢/١١، ولسان العرب١٣/٣٦١

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري ٤/٣٤٢-٣٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٢/٤٤٨، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/٣٢٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ١/٧٩٩، ومعالم التنزيل ١/٢٨٥-٢٨٦، والجامع لأحكام القرآن٤/١٧٥-١٨٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٦٤٥-٦٥٤، وفتح القدير١/٢٥٦

(٣) زيد بن ثابت بن الضَّحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي،صحابي جليل، توفي سنة ٤٥هـ، وينظر: أسد

الثالث:الفجر.

روي عن ابن عبَّاس، وابن عمر رضي الله عنهم[٣].

النتيجة:

الراجح أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، ويرجح هذا القول الأدلة الآتية:

أولاً: تسميته ﷺ لصلاة العصر بالصلاة الوسطى، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: شَغل المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى اصفرت أو احمرت، فقال:(**شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله أجوافهم وقبورهم نار**)[٤].

ثانياً: تفسير النَّبي ﷺ للصلاة الوسطى، عن سمرة[٥] رضي الله عنه، عن النَّبي ﷺ، قال: (**الصلاة الوسطى صلاة العصر**)[٦].

ثالثاً: الذي حث الله تعالى عليه في هذه الآية نظير ما روي عنه ﷺ، فعن أبي بَصْرَة الغِفاري[٧]، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر، فلما انصرف، قال: (**إن هذه الصلاة فرضت على من كان قبلكم، فتوانوا فيها وتركوها، فمن صلاها منكم أُضعِف أجره ضِعفين، ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد**)[٨].

الغابة٢/٣٤٦، والإصابة٢/٤٩٠.

(١) سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري الساعدي الخدري، صحابي جليل، توفي سنة٧٤هـ ، وينظر: أسد الغابة٦/١٣٨، والإصابة٣/٦٥.

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري٤/٣٥٩-٣٦٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٤٤٨

(٣) ينظر:جامع البيان، للطبري٤/٣٦٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٤٤٨

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب، رقم(٦٢٧،٢٠٦)

(٥) سمرة بن جندب بن هلال بن حريج الفزاري، صحابي جليل، توفي سنة ٥٨هـ، وينظر: أسد الغابة٢/٥٤٤، والإصابة٣/١٥٠.

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب ما جاء في صلاة الوسطى وأنها العصر، رقم (١٨٢) وحسنه، والبيهقي في سننه١/٤٦٠

(٧) حُمَيل بن بَصْرَة بن وقاص بن حبيب الغفاري، صحابي جليل،وينظر: أسد الغابة٦/٣١، والإصابة٧/٣٧

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم(٨٣٠)

(٤١) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴾ البقرة: ٢٣٨

﴿الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ قال: القنوت: أصله القيام، وهو منها الخضوع[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى القنوت:

١. الطاعة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وجابر بن زيد[٢]، والشعبي، وعطاء ، وسعيد بن جبير، جبير، والضَّحاك، والحسن بن علي، ومجاهد، وقتادة، وعطية العوفي، وطاوس[٣]، واختاره اليزيدي[١]، وابن جرير[٢]، والبغوي[٣].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢٦

(٢) جابر بن زيد الأزدي اليحمدي البصري، أبو الشعثاء من كبار التابعين وأصحاب ابن عبَّاس رضي الله عنهما، توفي سنة ٩٣هـ، وينظر: سير أعلام النبلاء ٤/٤٨١، وشذرات الذهب١/٣٦٥.

(٣) ينظر:جامع البيان، للطبري٤/٣٧٥-٣٧٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٤٤٩

٢. الخضوع والخشوع والسكوت.

هذا قول ثعلبن و روي عن ابن مسعود، وزيد بن أرقم[٤] رضي الله عنهما، و السُّدِّي، وابن زيد، ومجاهد، و الرَّبيع[٥]، واختاره ابن عطية[٦]، وابن كثير[٧]، والشَّوكاني[٨].

٣. الدعاء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٩].

النتيجة:

من قول ثعلب -رحمه الله- أن أصل القنوت في اللغة القيام، ويفهم من ذلك أن ما جاء من أقوال في معنى القنوت في الآية من باب التفسير باللازم ولا تعارض بينها، والكل محتمل وإن كان سبب النزول عن زيد بن أرقم رضي الله عنه[١٠] أنه خاص في السُّكوت، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والله تعالى أعلم[١١]

---

(١) غريب القرآن:٩٥

(٢) جامع البيان، للطبري٤/٣٨٣

(٣) معالم التنزيل١/٢٨٩

(٤) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، توفي سنة ٦٨هـ، وينظر: أسد الغابة٢/٣٤٢، والإصابة٢/٤٨٧.

(٥) ينظر:جامع البيان، للطبري٤/٣٧٩-٣٨٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٤٤٩

(٦) المحرر الوجيز١/٣٢٤

(٧) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير١/٦٥٤

(٨) فتح القدير١/٢٥٨

(٩) ينظر:جامع البيان، للطبري٤/٣٨٣

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، وباب (وقوموا لله قانتين)، رقم(٤٢٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم(٥٣٩)، عن زيد بن أرقم قال : كنا نتكلم في الصلاة، يكلم أحدنا أخاه في حاجته حتى نزلت هذه الآية ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى:**﴾ فأمرنا بالسكوت.

(١١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٤/١٨٥

(٤٢) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
قال تعالى: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ
ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿
﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ البقرة: ٢٤٩

قال الأزهري: غَرَفَ: قال الله جل وعز: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾، وقرىء(غَرْفةً)، وأخْبَرْنِي الْمُنذِرِيُّ عن أبي العبَّاس أنه قال (غُرفةً) قراءةُ عثمان رواه ابن عامر[1][2]، ومعناه الذي يُغترَفُ نفسه وهو الاسم، والغَرْفَةُ المرَّة من المصدرِ[1].

---

(١) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، أبو عمران إمام أهل الشام في القراءة، وأحد القراء السَّبعة، توفي سنة ١١٨هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/٤٢٣، وسير أعلام النبلاء٥/٢٩٢

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الغين، وقرأ باقي السَّبعة بالضم، ينظر: السَّبعة:١٤٤، وجامع البيان في

الدِّراسة:

من قرأ بفتح الغين، يريد المصدر، فهو بمعنى الغَرف باليد، أي: الفعل.

ومن قرأ بالضمِّ يريد الاسم، فهو بمعنى ما يُغترف، أي: المغروف نفسه وليس الفعل[٢].

والقراءتان كلاهما متواترتان، ومعناهما صحيح ومحتمل في الآية.

(٤٣) قوله تعالى :﴿ الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر ﴾ البقرة: ٢٥٩

وقال في قوله تعالى: ﴿ الحاقة المعارج نوح الجن المزمل ﴾: نوفع بعضها على بعض[٣].

القراءات السبع، للداني١/٩٢٣

(١) تهذيب اللغة٨/١٠٩، والقراءات وعلل النحويين فيها١/٨٧

(٢) ينظر: الحجة، لأبي علي الفارسي٢/٢٦٣، والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه:٤٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٣٠٤، ومجاز القران ١/٧٧، وجامع البيان، للطبري ٤/٤٨٦، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/٣٣٠، والمحرر الوجيز١/٣٣٥

(٣) مجالس ثعلب٢/٥٦٩

الدِّراسة:

قرئت (ننشزها) على قراءتين:

١. (نُشزِها) بالزاي وضم النون، قراء بها عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر على معنى: نرفع بعضها على بعض.

والنَّشز في اللغة بمعنى: الارتفاع، يقال: نشز الثوب، أي: ارتفع[١].

٢. (نُشرِها) بالراء وضم النون، قراء بها ابن كثير[٢]، ونافع، وأبو عمرو على معنى الإحياء[٣].

فالقراءة الأولى على معنى الرفع والتركيب والثانية على الإحياء ولا تعارض بينهما، لأن القراءة الثانية مكملة للأولى، فبعد التركيب والرفع للعظام تَدُب الحياة فيها.

(٤٤) قوله تعالى: ﴿الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (ن ش ز)

(٢) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله، أبو معبد الكِناني الدَّاري المكِّي، مُقرئ مَكَّة، وأحد القُرَّاء السَّبعة، توفي سنة ١٢٠هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/٤٤٣، وسير أعلام النبلاء٥/٣١٨

(٣) ينظر: السَّبعة:١٤٦، وجامع البيان في القراءات السبع، للداني ١/٩٢٩، و الحجة، لأبي علي الفارسي ٢/٢٨٥، والكشف عن وجوه القراءات السبع١/٣١٠، وجامع البيان، للطبري٤/٦١٥-٦١٩

القيامة الإنسان المرسلات النبإ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق
البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر ﴾ البقرة: ٢٥٩

قوله عز وجل: ﴿التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية

﴾ قرأ حمزة والكسائي:(قال اعلم) بالأمر، وقرأ الباقون(أعلم) بقطع الألف وضم الميم. وأخبرني المنذري، عن أبي العبَّاس أنه قال في قراءة عبدالله :(قيل اعلم) على الأمر [1]، وكذلك قرأ حمزة والكسائي اعتبرا قراءة عبد الله، وأما أبو جعفر وشيبة وعاصم ونافع وأبو عمرو فإنهم قرءوا:(قال أعلم). قال: واختارها أبو عمرو على أنه من مقالة الذي أحياه الله.

وقال أحمد بن يحي: وأنا اختاره، لأنه مفسر في حديثه: أنه لما رأى ما صنع به وبحماره قال عند ذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير[2].

الدِّراسة:

فقراءة (أعلم) على الإخبار منه عن نفسه بالإقرار والتسليم بعلم الله تعالى وقدرته على كل شيء وأن بيده تعالى البدء والإعادة سبحانه وتعالى.

وقراءة (اعلم) على الأمر، فترل نفسه مترلة المخاطب، وأمرها بالإقرار لله تعالى على قدرته على كل شيء لما رأى تلك الآيات العظيمة[3].

(٤٥) قوله تعالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة البقرة
آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود ﴾ البقرة: ٢٦١

---

(١) ينظر: مختصر الشواذ:١٦، وإعراب القراءات الشواذ١/٢٧٣ عن ابن مسعود.

(٢) القراءات وعلل النحويين فيها١/٩٣، وينظر: السَّبعة:١٤٦، وجامع البيان في القراءات السبع، للداني١/٩٢٩

(٣) ينظر: الحجة، لأبي علي الفارسي ٢/٢٨٨، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٣١٢، وجامع البيان، للطبري٤/٦٢٠-٦٢٣

حُدِّثنا عن ثعلب أنه قال : إنما المثل والله أعلم للنفقة لا للرجال، ولكن العرب إذا دل المعنى على ما يريدون حذفوا، مثل قوله تعالى﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾البقرة: ٩٣، فأضمر الحب لأن المعنى معلوم، فكذلك هاهنا أراد مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم، ونحو هذا قوله تعالى :﴿ الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ ﴾آل عمران: ١٨٠، يريد بخل الباخلين فحذف البخل[1].

الدِّراسة:

من أجل أن يستقيم المثال في الآية لا بد من تقدير مضاف، لأن الذين ينفقون لا يشبهون الحبة، والتقدير له ثلاثة أوجه ممكنه:

١. أن يكون المضاف المحذوف من الأول، وتقديره : مثل نفقة الذين، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل.

٢. أن يكون المضاف المحذوف من الثاني، وتقديره: مثل الذين ينفقون، كمثل زارع حبة أنبتت سبع سنابل.

٣. أن يكون المحذوف من الأول والثاني،وتقديره : مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل زارع حبة أنبتت سبع سنابل[2].

هذه الآية فيها صورة من الصور البلاغية وهو الاحتباك، ومعناه أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه.

النتيجة:

ما تقدم من الأوجه محتملة لنص الآية ومعناها ولا تعارض بينها، والله تعالى أعلم.

---

(١) زاد المسير١/٣١٦

(٢) المحرر الوجيز ١/٣٥٦، والكشاف ١/٣٠٦، والجامع لأحكام القرآن ٤/٣١٨، والبحر المحيط ٢/٣٠٣، والدر المصون٢/٥٧٨

(٤٦) قوله تعالى :﴿ الطُّوْرِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيْدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُوْنَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيْمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوْحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْاِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيْرِ الْاِنْفِطَارِ الْمُطَفِّفِيْنَ الْاِنْشِقَاقِ الْبُرُوْجِ الطَّارِقِ الْاَعْلٰى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحٰى ﴾ البقرة: ٢٦٤

قال ثعلب: الصلّد الرقّي(١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

١. الذي ليس عليه شيء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة(٢)، وقاله مكِّي(٣).

٢. الرقّي.

روي عن السُّدِّي(٤).

٣. الأجرد.

روي عن الضَّحاك(٥).

٤. الذي لا ينبت عليه شيء.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما(٦)، وقاله أبو عبيدة(٧)، واليزيدي(٨).

٥. الصلب.

---

(١) زاد المسير١/٣١٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٤/٦٦٦-٦٦٧

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٨٨٥

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٤/٦٦٧

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٤/٦٦٧

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥١٨

(٧) مجاز القرآن:٨٢

(٨) غريب القرآن:٩٩

قاله الماوردي[1].

٦. الأملس.

قاله القرطبي[2].

٧. الأملس الصلب الذي لا شيء عليه.

قاله البغوي[3]، وابن عطية[4]، وابن كثير[5]، والألوسي[6].

٨. الأملس الأجرد.

قاله السَّمين الحلبي[7].

٩. الأجرد النقي.

قاله الشَّوكاني[8].

النتيجة:

لا تعارض بين هذه الأقوال، فاختلافها اختلاف تنوع، فالصلَّد هو الصلب من الحجارة الأملس الرقَّي الأجرد الذي ليس عليه شيء ولا ينبت عليه شيء[9].

قال ابن جرير: والصلَّد من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره، وهو من الأرضين: ما لا ينبت فيه شيء، وكذلك من الرؤس[10].

---

(١) النكت والعيون١/٣٣٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن٤/٣٣٣

(٣) معالم التنزيل١/٣٢٦

(٤) المحرر الوجيز١/٣٥٨

(٥) تفسير القرآن العظيم١/٦٩٤

(٦) روح المعاني٢/٣٥

(٧) الدر المصون٢/٥٨٨

(٨) فتح القدير١/٢٨٥

(٩) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ص ل د)

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري٤/٦٦١

(٤٧) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾

البقرة: ٢٦٥

قال ثعلب: وهذا لفظ مستقبل، وهو لأمر ماض، فمعناه: فإن لم يكن أصابها وابل فطلٌّ، ومعنى هذا المثل: أن صاحب هذه الجنَّة لا يخيَّب، فإنها إن أصابها الطلُّ حَسُنَت، وإن أصابها الوابل أُضعِفَت، فكذلك نفقة المؤمن المخلص[1].

الدِّراسة:

لا بد من تقدير (كان) -كما صنع ثعلب في تفسيره- حتى يستقيم الكلام، فهو عن أمر ماض، فهذه الجنَّة إن لم يكن أصابها الوابل فتخرج نبتها ضعفين أص ابها الطل وكفاها وأخرجت دون ما يُخرج الوابل[2].

وهذا مثل ضربه تعالى لنفقة المؤمن المخلص، فحالها الخير في جميع الأحوال، سواء كان الأجر كامل أو مضاعف.

وظاهر الآية أنه تعالى شبه المنفق بالجنَّة الطيبة، لكن المراد هو تشبيه نفقة المنفق ب الجنَّة المباركة، فذكر المشبه به وهي الجنَّة دلت على المراد، وهو بذلك على تقدير حذف مضاف، والتقدير: ومثل نفقة الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله، كمثل جنة بربوة، وهذا النوع هو ما يسمى بالاحتباك[3].

---

(١) زاد المسير١/٣١٩

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/١٧٨، وجامع البيان، للطبري٤/٦٧٨، والبحر المحيط٢/٣١٢

(٣) ينظر صفحة: ١٨٢، من هذا البحث

(٤٨) قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ ﴾ البقرة: ٢٦٦

فإن قيل: كيف جاز في الكلام أن يكون له جنة فأصابها، ولم يقل فيصيبها، أفيجوز أن يقال: أتود أن تصيب مالاً فضاع؟، والمراد: فيضيع.

فالجواب: أن ذلك جائز في وددت، لأن العرب تلقاها مرة (أن) ومرة (لو) فيقولون : وددت لو ذهبت عنَّا، وددت أن تذهب عنَّا، قاله الفرَّاء وثعلب[١].

الدِّراسة:

استشكل المفسِّرون عطف الماضي على المضارع، وللإجابة عليه ذكروا ثلاثة أوجه:

١. أن الواو في (وأصابه الكبر) واو الحال، وليست واو عطف، وهو حال من (أحدكم) وتقديره:(وقد أصابه الكبر)، وفي العطف بالفاء في قوله : فأصابها إعصار ، دليل على أنها حين أزهت وحسنت للانتفاع بها أعقبها الإعصار.

قاله مكِّي[٢]،والزَّمَخشَري[٣]، والعُكبري[٤]، وأبو حيَّان[٥].

٢. أن يكون قد وضع المضارع موضع الماضي، لأن قوله(أيودُّ) يصح أن يوضع فيه (لو) مكان (أن)، ومعناهما جميعاً الاستقبال، وجائز عند العرب أن يردُّوا (فعَل) بتأويل (لو) على (يفعَل) مع (أن). والتقدير: أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل

---

(١) زاد المسير١/٣٢٠

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٨٨٩

(٣) الكشاف١/٣١٠

(٤) إملاء ما من به الرحمن١/١١٤

(٥) البجر المحيط٢/٣١٤

وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت.

قاله الفرَّاء[1]، وابن جرير[2].

٣. أن يكون العطف حملاً على المعنى، وقد وضع الماضي موضع المضارع، والتقدير: أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات ويصيبه الكبر وله ذرية ضعفاء فيصيبها إعصار فتحترق[3].

النتيجة:

أرجح الأوجه المتقدمة هو الوجه الأول، والواو واو الحال، لأن الأوجه الأخرى فيها تغيير للفظ عن أصله مع صحته على الوجه الأول، وسلامته من الاعتراض، والله تعالى أعلم.

(١) معاني القرآن١/١٧٥

(٢) جامع البيان، للطبري٤/٦٨٩

(٣) إعراب القرآن، للنحاس١/٣٣٦، والجامع لأحكام القرآن٤/٣٤١، والبحر المحيط٢/٣١٤، والدر المصون٢/٥٩٧

(٤٩) قوله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ البقرة : ٢٨٢

قال: السفَّيه: الذي لا يحسن شيئاً، ولا يحسن أن يقرأ ولا يكتب، إذ لم يتعلم.

والضعَّيف: الضعَّيف المُقِل، ويقال: الصبيِّ والمرأة[١].

الدِّراسة:

أولاً: المراد بالسفَّيه في الآية:

القول الأول: الجاهل الذي لا يحسن شيئاً، ولا يعرف أن يقرأ ولا يكتب ، ولا يُملَّ بالصواب على الكاتب.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد[٢]، وقاله الفرَّاء [٣]، ابن جرير[٤]، والزَّجاج[٥]، ومكِّي[٦]، والزَّمَخشَري[٧]، وابن عطية[٨]، والقرطبي[٩]، وابن كثير[١٠]، كثير[١٠]، والشَّوكاني[١١]، وابن عاشور[١٢].

القول الثاني:الطفل الصغير.

روي عن السُّدِّي، والضَّحاك[١].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٨٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٥٨

(٣) معاني القرآن١/١٨٣

(٤) جامع البيان، للطبري٥/٨٢

(٥) معاني القرآن وإعرابه١/٣٦٣

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٩١٨

(٧) الكشاف١/٣٢١

(٨) المحرر الوجيز١/٣٨٠

(٩) الجامع لأحكام القرآن٤/٤٣٥

(١٠) تفسير القرآن العظيم١/٧٢٤

(١١) فتح القدير١/٣٠٠

(١٢) التحرير والتنوير٣/١٠٤

ثانياً: المراد بالضعَّيف في الآية:

القول الأول: المقل.

القول الثاني: الصغير والمرأة.

قاله الفرَّاء[٢].

القول الثالث: الأحمق.

روي عن مجاهد، و السُّدِّي[٣].

القول الرابع: العاجز عن الإملال لعي في لسانه أو خرس.

روي عن سعيد بن جبير[٤]، وقاله ابن جرير[٥]، ومكِّي[٦].

القول الخامس: الشيخ الكبير لا عقل له.

قاله البغوي[٧]، والقرطبي[٨].

القول السادس: الناقص في عقله وفطرته

قاله ابن عطية[٩].

القول السابع: الصغير والمجنون.

قاله ابن كثير[١٠].

القول الثامن: الشيخ الكبير والصبي.

قاله الزَّمَخشَري[١١]، والشَّوكاني[١٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٨٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٥٨

(٢) معاني القرآن١/١٨٣

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٨٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٥٨

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٥٨

(٥) جامع البيان، للطبري٥/٨٣

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية١/٩١٨

(٧) معالم التنزيل١/٣٤٩

(٨) الجامع لأحكام القرآن٤/٤٣٤

(٩) المحرر الوجيز١/٣٨٠

(١٠) تفسير القرآن العظيم١/٧٢٤

(١١) الكشاف١/٣٢١

(١٢) فتح القدير١/٣٠٠

القول التاسع: الصغير.

قاله ابن عاشور[1].

النتيجة:

أولى الأقوال بالصواب في المراد بـــ(السَّفيه) هو من لا يحسن التصرف من البالغين لأي سبباً كان فلا يعرف أن يملي بالصواب على الكاتب، ويكون المراد بـــ(الضعيف) الصغير والمرأة والشيخ الكبير من يكون ضعيفاً في الإملاء وإن كان يعلمه، والمراد (بمن لا يستطيع أن يمل) من يكون بالغا عاقلاً لكنه لا يستطيع الإملاء لعيٍّ من خرس أو نحوه، أو لحبس ومنع من الكلام.

وبذلك يكمل المعنى في الآية، وتشمل كل من لا يستطيع الإم لاء، ولا يكون هناك تكرير بين هذه الصفات الثلاث، والله تعالى أعلم.

(١) التحرير والتنوير٣/١٠٤

سورة آل عمران

(٥٠،٥١) قوله تعالى :﴿ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسَ الصَّافَّاتِ صَ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قَ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ ﴾ آل عمران: ٧

في هذه الآية مسألتان:

المسألة الأولى:﴿ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ ﴾. قال: تفسيره[١].

المسألة الثانية: قال ابن الجوزي: وهل يعلم الرَّاسخون تأويله أم لا؟ فيه قو لان: أحدهما: أنهم لا يعلمونه، وأنهم مستأنفون. وقد روى طاووس عن ابن عبَّاس أنه قرأ (ويقول الرَّاسخون في العلم آمنا به)[٢]، و إلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن عبَّاس، وعروة، وقتادة، وعمر بن عبد العزيز [٣]، و الفرَّاء، وأبو عبيدة، وثعلب، و ابن الأنباري، والجمهور[٤].

الدِّراسة:

المسألة الأولى: المراد بالتأويل في الآية:

للتأويل عند السَّلف معنيان:

الأول: تفسير الكلام وبيان مراده وحقيقته.

الثاني: وقوع وظهور المراد من الكلام[٥].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٨٤

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٢٢١، والبحر المحيط٢/٣٨٤

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، أبو حفص القرشي الأموي، أحد خلفاء بني أمية، توفي سنة١٠١هـ ، وينظر: طبقات ابن سعده/٣٣٠، وسير أعلام النبلاء٥/١١٤.

(٤) زاد المسير ١/٣٥٤، وينظر : الأضداد للأنباري :٤٢٧، و جامع البيان، للطبري ٥/٢١٨-٢١٩، والبحر المحيط٢/٣٨٤، وروح المعاني٢/٨١-٨٢

(٥) ينظر: الإكليل في المتشابهوالتأويل، لابن تيمية:٢٦-٣٢، ودرء تعارض العقل والنقل٥/٣٨٢

وهناك مفهوم ثالث للتأويل عند المتأخرين : وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح لقرينة تدل عليه[١].

وبناء على هذه المعاني جاءت أقوال المفسِّرين في المراد بالتأويل:

القول الأول: تفسير عموم المتشابه ومرجعه ومصيره وحقيقته، من ما يؤل إليه الشيء، وهو الرجوع إلى حقيقته.

روي هذا المعنى عن ابن زيد[٢]، وقاله أبو عبيدة[٣]، والنَّحاس [٤]، والزَّمَخشَري [٥]، وابن عطية[٦]، وابن عاشور[٧].

والقول الثاني: وقت وقوع المتشابه وظهوره، وهو يوم القيامة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٨]، قاله الفرَّاء [٩]، وابن جرير [١٠]، والزَّجاج [١١]، ومكِّي[١٢]، والواحدي[١٣].

القول الثالث: عواقب القرآن، أي متى يأتي النَّاسخ فينسخ المنسوخ.

روي عن السُّدِّي[١٤].

المسألة الثانية: هل الوقف على الاسم الكريم أم على الرَّاسخين في العلم؟

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوي، لابن تيمية/٣٥، ٣٤٩، والتعريفات:٥٠

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٩٨

(٣) مجاز القرآن١/٨٦

(٤) معاني القرآن١/٣٥٤

(٥) الكشاف١/٣٣٣

(٦) المحرر الوجيز١/٤٠٣

(٧) التحرير والتنوير٣/١٦٤

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٢١٥

(٩) معاني القرآن١/١٩١

(١٠) جامع البيان، للطبري٥/٢١٦

(١١) معاني القرآن وإعرابه١/٣٧٨

(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية٢/٩٥٧

(١٣) الوسيط١/٤١٤

(١٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٢١٥

القول الأول: قوله تعالى:(**والراسخون في العلم**) مستأنفة ، والوقف على الاسم الكريم.والتأويل على معنى وقت وقوع وظهور المراد.

روي عن عائشة، وابن عبَّاس ﷺ، وعروة، وعمر بن عبد العزيز، ومالك[١]، قاله الفرَّ اء[٢]، وابن جرير[٣]،والزَّجاج[٤]، ومكِّي[٥]، والواحدي[٦].

وأدلة هذا القول الآتي:

١. قراءة أبي، وابن عبَّاس ﷺ(**ويقول الراسخون في العلم آمنا به**)، وقراءة عبد الله ابن مسعود ﷺ (**إن تأويله إلا عند الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به**)[٧].

٢. ذم تعالى طالب المتشابه، ومدح الراسخين لإيمانهم، ولو كانوا عالمين بالمتشابه على التفصيل لما كان في مدحهم بالإيمان مزية، لأن من علم شيئاً بالتفصيل لا بد أن يؤمن به[٨].

٣. وقولهم (**كل من عند ربنا**) دليل على أنهم آمنوا بما عرفوا بالتفصيل، وما لم يعرفوا.

القول الثاني: أن قوله تعالى:(**والراسخون في العلم**) معطوفة على الاسم الكريم(الله)، ومعنى ذلك: أنه لا يعلم المتشابه إلا الله تعالى والراسخون في العلم، والتأويل على معنى التفسير وري هذا القول عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، والضَّحاك، و الرَّبيع[٩]، واختاره النَّحاس[١٠]، والزَّمَخشَري[١١]، وابن عطية[١٢]، وابن عاشور[١٣].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٢١٨-٢١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٩٩

(٢) معاني القرآن١/١٩١

(٣) جامع البيان، للطبري٥/٢٢١

(٤) معاني القرآن وإعرابه١/٣٧٨

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٢/٩٥٧

(٦) الوسيط١/٤١٤

(٧) ينظر: المصاحف، لابن أبي داود١/٣٠٩، وجامع البيان، للطبري٥/٢٢١، والبحر المحيط٢/٣٨٤

(٨) ينظر: البحر المحيط٢/٣٨٤

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٢٢٠-٢٢١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٥٩٩

(١٠) معاني القرآن١/٣٥٤

(١١) الكشاف١/٣٣٣

(١٢) المحرر الوجيز١/٤٠٣

(١٣) التحرير والتنوير٣/١٦٤

وأدلة هذا القول الآتي:

١. قيد(الرَّاسخون) أي أنهم يعلمون المتشابه ، فكيف يوصفون بالرسوخ ولا يعلموا المتشابه.

٢. لو أراد المقابلة بين أهل الزَّيغ والرَّاسخين في العلم، لجاء بـــ(أما) و لم يعطف بالواو على الاسم الكريم.

٣. أنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا يفهمونه، فالعلماء يعلمون التأويل، فإذا قلنا أنه خاص بالله، تساوى في التأويل العالم والجاهل(١).

النتيجة:

لا تعارض بين الأقوال لأن من قال من أهل العلم أن المراد بالتأويل هو ظهور المراد ومعرفة وقت وقوعه، كان المراد بالمتشابهاهو ما استأثر الله تعالى بعلمه، والوقف على الاسم الكريم.

ومن قال أن المراد بالتأويل التفسير ومعرفة المراد من الشيء،كان المراد بالمتشابه هي المسائل التي لا يعلمها إلا الله تعالى ومن كان لديه رسوخ في العلم، وجعل الرَّ اسخين معطوفة على الاسم الكريم(٢).

والراجح هو القول الأول، يؤيده ما ذكره أصحاب هذا القول من أدلة، إضافة إلى أن الذين في قلوبهم زيغ من عادتهم البحث والسؤال عن الأمور التي استأثر الله تعالى بعلمها ، كقيام السَّاعة والرُّوح وغيرها، دون أن يسَألوا عن ما يفيدهم.

فهدفهم الفتنة والتعجيز، وليس التفسير ومعرفة المراد وحقيقة الشيء، فهم يريدون التأويل على المعنى الثاني.

فنفى تعالى ذلك عنهم، وأثبت خصوصيته له، وأيده بأن الرَّ اسخين في العلم ومن هم أعلم من أهل الزيغ لا يملكون أمام ذلك إلا الإيمان والتسليم.

ولا إشكال في قول ثعلب أن الرَّاسخين مستأنف مع قوله في معنى التأويل التفسير، فيحمل معنى التفسير عنده على معنى التأويل الثاني وهو وقوع الشيء وظهور المراد في الوجود ، وبهذا يزول الإشكال، والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط٢/٣٨٤، وروح المعاني٢/٨١-٨٢، والتحرير والتنوير٣/١٦٤

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٥/٢٥، وفتح القدير١/٣١٥

(٥٢) قوله تعالى: ﴿ طٰهٰ الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤمِنُونَ النُّورِ الفُرقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقمَانَ السَّجْدَةِ الأَحزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحقَافِ ﴾ آل عمران: ١٤

قال ثعلب: اختلف النَّاس في القنطار ما هو؟ فقالت طائفة: مائة أوقية من ذهب، وقيل: مائة أوقية من الفضة، وقيل: ألف أوقية من الذهب، وقيل ألف أوقية من الفضة، وقيل: ملء مَسك ثور ذهبا، وقيل: ملء مَسك ثور فضة، ويقال: أربعة آلاف دينار، ويقال: أربعة آلاف درهم، قال: والمعمول عليه عند العرب الأكثر أنه أربعة آلاف دينار، قال: وقوله: ﴿ القَنَاطِيرِ ﴾ يقال: قد قنطر زيد، إذا ملك أربعة آلاف دينار، فإذا قالوا: قناطير مقنطرة، فمعناها: ثلاثة أدوار، دور ودور ودور، فمحصولها اثنا عشر ألف دينار، وفي الحديث[١] أن صفوان بن أمية قنطر في الجاهلية وقنطر أبوه، أي: صار له قنطار من المال[٢].

الدِّراسة:

الأقوال[٣]:

١. مائة أوقية من ذهب.
٢. مائة أوقية من فضة.
٣. ألف أوقية من الذهب.
٤. ألف أوقية من الفضة.
٥. ألف ومائتا أوقية.
٦. أربعة ألاف دينار.
٧. ألف ومائتا دينار.

---

(١) لم أجده مرفوعاً ولا موقوفاً، ولكن بلفظ: وقالوا أو وفي الحديث. ينظر:غريب الحديث، لابن قيبة، باب أحاديث سمعت أهل اللغة يذكرونها لا أعرف أصحابها٢/٣٦٦، والنهاية في غريب الحديث٤/١١٣

(٢) تهذيب اللغة٩/٣٠١، وينظر: لسان العرب٥/١١٩

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٢٥٤-٢٦٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٦٠٧-٦٠٩، والهداية إلى بلوغ النهاية٢/٩٦٦-٩٦٨، والبحر المحيط٢/٣٩٧

٨. اثنا عشر ألف درهم، أو ألف دينار.

٩. ثمانون ألف درهم، أو مائة رطل من الذهب.

١٠. سبعون ألف درهم.

١١. ملء مسك ثور ذهباً.

١٢. ملء مسك ثور فضة.

١٣. المال الكثير، ولا يُحَدُّ بقدر. واختاره الطبري [١]، والزَّجاج [٢]، والنَّحاس [٣]، والثعلبي[٤]، والواحدي[٥]، وابن عطية[٦]،والقرطبي[٧]، وابن كثير[٨]، والشَّوكاني[٩].

النتيجة:

ما ذكر في مقدار القنطار هو من التفسير بالمثال، والأولى أنه المال الكثير الجزيل كما هو في كلام العرب، يقال: قنطر فلان، أي: أصبح لديه مال كثير، وهذا المال الكثير لا يحد بمقدار. وما جاء عن المفسِّرين هو من تقديرهم للمال الكثير في زمنهم ويختلف باختلاف الأزمان. والأولى أن لا يُقصر القنطار على الذهب دون الفضة أو العكس، بل يشمل كلاهما لدلالة سياق الآية عليه ﴿النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ﴾

وأما القناطير فهي جمع قنطار، وهي ثلاثة والمقنطرة جمع الجمع تسعة[١٠]، أو المكمَّلة، كما تقول: ألاف مؤلفة[١١].

---

(١) جامع البيان، للطبري٥/٢٦٠، وينظر: مجاز القرآن١/٨٨

(٢) معاني القرآن وإعرابه١/٣٨٣

(٣) معاني القرآن، للنحاس١/٣٦٧

(٤) الكشف والبيان٢/٢٣

(٥) الوسيط١/٤١٨

(٦) المحرر الوجيز١/٤٠٨

(٧) الجامع لأحكام القرآن٥/٤٦

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢/١٩

(٩) فتح القدير١/٣٢٣

(١٠) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/١٩٥، وجامع البيان، للطبري٥/٢٦٠

(١١) ينظر:مجاز القرآن، لأبي عبيدة ١/٨٨، ومعاني الفرآن، للنحاس١/٣٦٧

(٥٣) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ آل عمران: ١٨

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ قولان: أحدهما: أنه بمعنى قضى وحكم، قاله مجاهد [١]، والفرَّاء، وأبو عبيدة[٢]، والثاني: بمعنى بيَّن، قاله ثعلب، الزَّجاج[٣][٤].

وسأل المنذري أحمد بن يحيى عن قول الله عز وجل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ ﴾ فقال: كل ما كان شهد الله فإنه بمعنى علم الله[٥].

الدِّراسة:

الأقوال:

القول الأول: قضى وحكم.

قال ابن جرير عن هذا المعنى: لا يعرف في لغة العرب ولا العَجم[٦].

القول الثاني: عَلِمَ وبيَّنَ.

قاله النَّحاس[٧]، والبغوي[٨]، والزَّمَخشَري[٩]، وابن عطية[١٠]، والقرطبي[١١].

قال الزَّجاج: لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه[١٢].

---

(١) ينظر: معالم التنزيل٢/١٧

(٢) ينظر: مجاز القرآن١/٨٩، ولم ينص على هذا القول الفرَّاء في كتابه المعاني.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه١/٣٨٥

(٤) زاد المسير١/٣٦٢، وينظر: الزاهر في معاني كلمات النَّاس:٢٩

(٥) تهذيب الغة٦/٤٧، وينظر: لسان العرب٣/٢٣٩

(٦) جامع البيان، للطبري٥/٢٨٠، وينظر: المحرر الوجيز١/٤١٢

(٧) معاني القرآن الكريم١/٣٦٩

(٨) معالم التنزيل٢/١٧

(٩) الكشاف١/٣٣٨

(١٠) المحرر الوجيز١/٤١٢

(١١) الجامع لأحكام القرآن٥/٦٦

(١٢) معاني القرآن وإعرابه١/٣٨٥، وينظر: معاني القرآن، للنحاس١/٣٦٩

النتيجة:

أصل معنى (شهد) في اللغة حضر[1]، وأقرب المعاني لها، والذي يؤيده سياق الآية، ويوافق ما جاء في كلام العرب، القول الثاني، والله تعالى أعلم.

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة(شهد)

(٥٤) قوله تعالى :﴿ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ ﴾ آل عمران: ٤٥

أنه كان يمسح الأرض، أي: يقطعها، ذكره ثعلب، وبيانه أنه كان كثير السياحة(١).

الدِّراسة:

الأقوال في تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح(٢):

١. يمسح الأرض، أي: يقطعها بالسيِّاحة. فمسيح على وزن فعيل بمعنى فاعل. قاله القرطبي(٣).

٢. كان يمسح على المريض بيده فيبرأ.

٣. مسحه الله وطهره من الذنوب، فمسيح مصروف من مفعول إلى فعيل، أي: ممسوح. قاله ابن جرير(٤)، ومكِّي(٥).

٤. الصدِّيق.

روي عن النَّخعي(٦)، وقاله اليزيدي(٧).

٥. مسح بالبركة.

٦. أنه لما خرج من بطن أمه كان ممسوحاً بالدهن.

٧. أنه ممسوح القدمين لا أخمص له.

٨. الملك.

---

(١) زاد المسير١/٣٨٩، وينظر: معاني القرآن للنحاس٢/٣٤٢

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٢/٣٤٢، والكشف والبيان ٣/٦٨، والهداية إلى بلوغ النهاية ٢/١٠١٣، وزاد المسير١/٣٨٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن٥/١٣٦

(٤) جامع البيان، للطبري٥/٤٠٩

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٠١٣

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٤٠٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٦٥١

(٧) غريب ا لقرآن:١٠٥

النتيجة:

يمكن لمعرفة القول الراجح في سبب تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح النَّظر في أوجه الشبه بينه وبين المسيح الدجال، لأن كليهما لقب بالمسيح.

وعند النظر في ذلك نجد أن كلاً منهما يسيح في الأرض ويمسح على المريض فيبرأ، وهذا القول هو أرجح الأقوال المتقدمة في معنى المسيح، والله تعالى أعلم.

(٥٥) قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴾ آل عمران: ٤٦

وأخبرني المنذريّ عن أحمدَ بنِ يحيى أنّه قال: ذكر الله جلّ وعزّ لعيسى آيتين: إحداهما: تكليمه النَّاس في المَهد، فهذه مُعْجزة، والأخْرَى: نُزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كَهْلاً ابنَ ثلاثين سنةً يُكلِّمُ أُمَّةَ محمدٍ، فهذه الآية الثانية[١].

الدِّراسة:

في المراد بـــ(كهلا) قولان:

١. يكلم قومه بالوحي والنبوّة في سِنِّ الكهولة، وهذه معجزة.

روي عن قتادة، ومقاتل، والربيع[٢]، وقاله ابن جرير[٣].

واعترض على هذا القول أن عمر عيسى عليه السلام لما رفع إلى السماء ثلاثاً وثلاثين، وعلى هذا التقدير لم يبلغ سِنَّ الكهولة.

وأجيب بأن سِنَّ الكهولة هو ما فوق الغلام ودون الشيخ[٤].

٢. ينزِل من السمَّاء في آخر الزمان ويكلم أمة محمد ﷺ في سِنِّ الكهولة، وهذه معجزة.

روي عن ابن زيد[٥].

النتيجة:

مقصود الآية هو البيان لأم عيسى عليها السلام ما جعله تعالى في ابنها من آيات عندما بُشِّرت به، وما ذكر من أقوال كلها تُعَدُّ معجزة وآية من الآيات، فلا مانع من حمل مقصود الآية على المعنيين.

---

(١) تهذيب اللغة٦/١٤

(٢) جامع البيان، للطبري٥/٤١٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٢/٦٥٢، ومعالم التنزيل٢/٣٨

(٣) جامع البيان٥/٤١٢.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب٨/٥٨، وزاد المسير١/٣٩٠، والمحرر الوجيز١/٤٣٧، وتهذيب اللغة، مادة(ك ه ل)

(٥) جامع البيان، للطبري٥/٤١٤.

(٥٦،٥٧) قوله تعالى :﴿الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى﴾ آل عمران: ٥٩

المسألة الأولى: وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ . أي: أن مثل آدم أعجب. لأن آدم جاء من غير نفس وعيسى قد جاء من نفس [1].

المسألة الثانية: وقال ابن الجوزي: قوله تعالى﴿سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ﴾ يعني آدم قال ثعلب: وهذا تفسير لأمر آدم وليس بحال[2].

الدِّراسة:

المسألة الأولى:

قال ابن جرير: يعني جل ثناؤه: إن شبه عيسى في خلقي إياه من غير فحل، فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران، عندي كشبه آدم الذي خلقته من تراب، ثم قلت له كن فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى.

يقول فليس خلقي عيسى من أمه من غير فحل ، بأعجب من خلقي آدم من غير ذكر ولا أنثى، فكان لحماً، يقول: وأمري إذ أمرته أن يكون فكان ، فكذلك خلقي عيسى، أمرته أن يكون فكان[3].

المسألة الثانية:

هل جملة قوله تعالى﴿سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ﴾ لها محل من الإعراب أم لا؟

القول الأول: ليس لها محل من الإعراب بل هي جملة بيانية تفسيرية، لا صلة ولا حالاً.

---

(١) مجالس ثعلب١/٣٢٥

(٢) زاد المسير١/٣٩٨

(٣) جامع البيان، للطبري٥/٤٥٩، ينظر: معاني القرآن، للفراء١/٢١٩

قاله الفرَّاء[١]، وابن جرير[٢]، والزَّجاج[٣]،ومكِّي[٤]، وابن عطية[٥].

القول الثاني: لها محل من الإعراب فهي في محل نصب على الحال ، على أن معنى (خلق) قدَّر لا أنشأ، والتقدير: قدَّره جسداً من طين[٦].

النتيجة:

هذه الجملة ليست صلة ولا حالاً لآدم لأمرين:

الأول: الفعل الماضي لا يكون الحال منه.

الثاني: أن آدم عليه السلام معرفة والصلة لا تكون إلا للنكرة، مثل:رجل خلقه من تراب[٧].

(١) معاني القرآن، للفراء١/٢١٩

(٢) جامع البيان، للطبري٥/٤٦٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه١/٤٢٢

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٠٣٥

(٥) المحرر الوجيز١/٤٤٦

(٦) ينظر: البحر المحيط٢/٤٧٨، الكشاف١/٣٦١

(٧) ينظر:معاني القرآن للفراء١/٢١٩، معاني القرآن وإعرابه١/٤٢٢، والبحر المحيط٢/٤٧٨، والدر المصون٣/٢١٨

(٥٨) قوله تعالى : ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم ﴾ آل عمران: ١١٢

قوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة ﴾

قال الفرَّاء معناهُ: ضُرِبَتْ عليهم الذلَّةُ إلا أنْ يَعْتَصِمُوا بحبْلٍ من الله فأضْمَرَ ذَلك.

قال ومثله قوله :

رَأَتْني بحَبْلَيْهَا فَصدَّتْ مخافةً وفي الحَبْل رَوْعَاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ (١)

قال: أراد رأَتْني أقْبَلْتُ بحَبْلَيْهَا فأضْمَرَ(أَقْبَلْتُ)كما أضْمَرَ الاعْتِصَامَ في الآية .

وأخبرني المنذريُّ عن أبي العبَّاس أحمدَ بن يحيى أنه قال: هذا الذي قَالَهُ الفرَّاء بعيدٌ أن تحْذِفَ أَنْ وَتُبْقِيَ صِلَتَها، ولكنّ المعنى إن شاء الله ضُرِبَتْ عليهم الذِّلّة أينما ثُقِفُوا بِكُل مَكانٍ إلا بمَوْضِعِ حَبْلٍ من الله وهو استِثْناءٌ متَّصِلٌ كما تقول: ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلّة في الأمْكِنَة إلاّ في هذا المكانِ .

قال وقولُ الشاعر (رأَتْنِي بحبليها) هو كما تقول: أنا بالله، أيْ: مُتَمَسك، فتكون الباءُ من صِلَةِ رأَتْني مُتَمَسكاً بحَبْلَيْهَا فاكتَفَى بالرُّؤْيَةِ من التَّمَسُّك .

قال: وقال الأخفش في قوله ﴿ سورة الفاتحة البقرة ﴾ : إنَّهُ استثْناءٌ خارِجٌ من أَوّل الكلام في معنى لَكِنْ . قلت والقولُ ما قال أبو العبَّاس(٢).

---

(١) سبق تخريجه وبيان غريبه ص:٧٥

(٢) تهذيب اللغة٥/٥٢، وينظر:لسان العرب١١/١٣٧

الدِّراسة:

اختلف أهل العلم في نوع الاستثناء إلى قولين:

الأول: أنه استثناء منقطع.

على تقدير: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا أن يعتصموا بحبل من الله.

قاله الفرَّاء[1]، . . . . . .

والزَّجاج[2]، وضَعَّفَ ابن جرير[3].

أو على تقدير: ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا لكن اعتصامهم بحبل من الله وحبل من النَّاس ينجيهم من الذلة.

قاله أبو حيَّان[4]، وهو في معنى التقدير الأول.

أو على تقدير:ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا لكن قد يثقفون بحبل من الله وح بل من النَّاس والذلة مضروبة عليهم.

قاله ابن جرير[5]، وهو على خلاف معنى التقدير الأول والثاني.

أو على تقدير: فلا نجاة من الموت إلا بحبل من الله وحبل من النَّاس.

قاله ابن عطية [6].

وعلى هذا التقدير المعنى في الموت لا في الذلة، على تقدير محذوف.

وقال أبو حيَّان: وعلى ما قدره لا يكون استثناء منقطعاً لأنه مستثنى من جملة مقدرة وهي (فلا نجاة من الموت) وهو متصل على هذا التقدير[7].

الثاني: أنه استثناء متصل.

على تقدير: ضربت عليهم الذلة في كل الأحوال إلا في حال اعتصامهم بحبل من الله.

---

(١) معاني القرآن١/٢٣٠

(٢) معاني القرآن وإعرابه١/٤٥٧

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٦٨٥

(٤) البحر المحيط٣/٣٢

(٥) جامع البيان، للطبري٥/٦٨٧

(٦) المحرر الوجيز١/٤٩١

(٧) البحر المحيط٣/٣٢

قاله الزَّمَخشَري[1]، وابن عاشور[2].

أو على تقدير: ضربت عليهم الذلة في كل مكان إلا في موضع اعتصامهم بحبل الله.

وهذا قول ثعلب، وهو في معنى التقدير الأول.

لكن ضعفه ابن جرير حيث أن صفة الذلة لليهود مضروبة عليهم في كل الأحوال بحبل من الله أو بحبل من الناس[3].

النتيجة:

لكن الحقيقة والواقع أن اليهود في بعض الأحوال عند اعتصامهم بحبل الله أو حبل من الناس لم تضرب عليهم الذلة ونجد عندهم عزة وانتقام والتاريخ يشهد لذلك، وفي هذا جواب على اعتراض ابن جرير، ويرجح القول بعدم دوام ضرب الذلة عليهم، وأن الاستثناء منقطع لأن المستثنى منه في المكان والمستثنى في الأحوال، فليس المستثنى من المستثنى منه.

وهذا الاستثناء من الله تعالى دفعاً لما قد يراه المؤمنون من عزة عند اليهود في بعض الأحوال مع قوله تعالى عنهم ﴿ ﴾، والله تعالى أعلم.

(١) الكشاف ٣٩٣/١

(٢) التحرير والتنوير٥٦/٤

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٦٨٦/٥

(٥٩) قوله تعالى: ﴿الرَّجِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴾ آل عمران: ١١٧

عن ثعلب قال: بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح والمعنى على الحرث(١).

قال ثعلب: فيه تقديم وتأخير أي كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح فيها صر فأهلكته(٢).

الدِّراسة:

قيل في معنى (ما) في الآية من قوله(ما ينفقون) قولان:

الأول: أنها موصولة اسمية بمعنى: الذي، أي: الذي ينفقونه.

وفي هذا القول وجهان:

الوجه الأول: يراد: المال. فالظاهر تشبيه المال بالريح، والمراد تشبيهه بالحرث المهلَك .

وهذا من التشبيه المركب لم يقابل فيه الأفراد بالأفراد، وعلى هذا يحمل قول ثعلب : بدأ الله تعالى هذه الآية بالريح والمعنى على الحرث(٣).

الوجه الثاني: قيل: التشبيه بين الريح وبين الإنفاق المهلك للمال، لكن قالوا: على تقدير حذف مضاف من المشبهَّ والتقدير: ومثل مهلك الذي ينفقون كمثل الريح المهلك للحرث.

الثاني: أنها مصدرية والعائد على الإنفاق، أي: مثل إنفاقهم، فشبه الإنفاق بالريح ، فهو مهلك لأموالهم كما الريح مهلكة للحرث، مثل الوجه الثاني من القول الأول(١).

---

(١) زاد المسير١/٤٤٥، ينظر: البحر المحيط٣/٤٠

(٢) البرهان في علوم القرآن٣/٤٣٠

(٣) الكشاف للزمخشري١/٣٩٧

النتيجة:

كلا القولين جائز ومحتمل، ولا يمنع اشتمال مقصود الآية عليهما جميعاً، ويُعُد هذا من بلاغة القرآن العظيم الذي يدل على المعاني العديدة بأقل الألفاظ، والله تعالى أعلم.

قال ابن عطية في معنى الآية: معناه المثال القائم في النفوس من إنفاقهم الذي يعدونه ق ربة وحسبة وتحنثاً، ومن حَبطه يوم القيامة وكونه هباء منثوراً وذهابه، كالمثال القائم في النفوس من زرع قوم نبت واخضر وقوي الأمل فيه فهبت عليه ريح فيها صر محرق فأهلكته، فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين، ذكر الله عز وجل أحد الشيئين المشبهين وترك ذكر الآخر ، ثم ذكر أحد الشيئين المشبه بهما وليس الذي يوازي المذكور الأول وترك ذكر الآخر ، ودل المذكوران على المتروكين، وهذه غاية البلاغة والإيجاز[٢].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٥/٢٧١، والبحر المحيط٣/٣٧، والدر المصون٣/٣٥٨-٣٥٩

(٢) المحرر الوجيز١/٤٩٤

(٦٠) قوله تعالى :﴿ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ آل عمران: ١٣٤ ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ **الحابسين لا يظهرون جزاءه. الكاظمة: المصنع، وهو منه**[1].

الدِّراسة:

الكظم بمعنى: الحبس والتجرع[2].

ومعنى ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ على قول المفسِّرين[3]: المتجرعون للغضب فهم حابسون له لا يظهرونه ممتلئين به، كما في قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ ﴾ يوسف: ٨٤، أي: ممتلئ حزناً وغماً، وقوله :﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ النحل : ٥٨، وقوله :﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ القلم: ٤٨.

(١) مجالس ثعلب٢/٥٨٦، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم٦/٧٨٥، ولسان العرب١٢/٥١٩

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ك ظ م)

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن٥/٣١٨، ومعاني القرآن وإعرابه١/٤٦٩

(٦١) قوله تعالى :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ آل عمران: ١٣٥

﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ قال: يعلمون أنهم أتوا ما لا ينبغي [١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى (وهم يعلمون):

الأول: يعلمون أنهم أذنبوا وأتوا مالا ينبغي.

روي عن السُّدِّي[٢].

الثاني: يعلمون أن ما فعلوا معصية قد حرمها الله تعالى.

روي عن ابن إسحاق[٣].

الثالث: يعلمون أنهم إذا تابوا تاب الله عليهم، وأنه يغفر الذنوب.

روي عن مجاهد، وعبد الله بن عبيد بن عمير[٤][٥].

الرابع: وهم يعلمون أن الإصرار ضار[٦].

النتيجة:

---

(١) مجالس ثعلب١/١٦٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٦/٦٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٧٦٧

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٦/٦٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٧٦٧

(٤) عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي الجندعي ألم كِّي، أبو هاشم التابعي، توفي سنة ١١٣هـ، وينظر: طبقات ابن سعده/٤٧٤، وسير أعلام النبلاء٤/١٥٧

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٧٦٧، والكشف والبيان٣/١٦٩-١٧٠، ومعالم التنزيل٤/١٠٧

(٦) ينظر: الكشف والبيان٣/١٦٩-١٧٠، ومعالم التنزيل ٤/١٠٧، والهداية إلى بلوغ النهاية ٢/١١٣٢، والجامع لأحكام القرآن٥/٣٢٧

كل المعاني المتقدمة محتملة وجائزة، إلا إن ألصقها بالسيِّاق وحال المتحدث عنهم في الآية هو علمهم بذنبهم وأن الله تعالى غفور رحيم، حيث أنهم إذا وقعوا في الذنب تذكروا واستغفروا الله تعالى لعلمهم أن هذا معصية وأنهم قد أذنبوا والله غفور رحيم يقبل توبة التائب المنيب، والله تعالى أعلم.

(٦٢) قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴾ آل عمران: ١٤١ **قال: فقيل ليُبَعِّد الله ويذهب ذنوب المؤمنين**[١].

الدِّراسة:

(محَّص) في اللغة: بمعنى التنقية والتخليص[٢].

وأما أقوال المفسِّرين في معنى (وليمحص)، فهي على النحو الآتي:

الأول: ليبتلي.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، والحسن، وابن جريج[٣].

الثاني: ليطهر المؤمنين من ذنوبهم.

قاله الفرَّاء[٤]، والزَّمَخشَري[٥]، وابن عطية[٦].

الثالث: ليُخلِّص المؤمنين من ذنوبهم وعقوبتها.

قاله الزَّجاج[٧]، ومكِّي[٨].

النتيجة:

---

(١) مجالس ثعلب ٢٢٦/١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، والصحاح، ولسان العرب، مادة(م ح ص)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج٤٧١/١-٤٧٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٨٩/٦-٩٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٧٧٤/٣-٧٧٥

(٤) معاني القرآن٢٣٤/١

(٥) الكشاف٤١١/١

(٦) المحرر الوجيز٥١٥/١

(٧) معاني القرآن وإعرابه٤٧٢/١

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية١١٣٧/٢

لا تعارض بين هذه الأقوال، فهي مكملة لبعضها، فالتمحيص ابتلاء من الله تعالى للمؤمنين، لأجل تخليصهم من ذنوبهم، ورفع درجاتهم، فللمؤمن درجات عليا في الجنَّة، لا يصلها إلا بالبلاء الذي يصبه في الدنيا، فيصبر ويحتسب[1].

(٦٣) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ آل عمران: ١٧٥

﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ يخوفهم بأوليائه. يقال: أخافك كخوف الأسد. أي: كخوفي من الأسد. وأنشد:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعلٍ ذي المطارة عاقل [٢][٣]

عاقل [٢][٣]

الدِّراسة:

(يُخَوِّف) يتعدى إلى مفعولين، ويجوز حذف مفعوليه أو أحدهما، وللعلماء فيه وجهان:

الأول: أن يكون المفعول الأول محذوفاً والتقدير :إنما ذلكم الشيطان يخوف المؤمنين أولياءه المشركين، أومن أوليائه، أوبأوليائه على حذف حرف الجر، وشاهده كلام العرب كما ذكر ثعلب، ومثله قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ الكهف: ٢، على معنى: لينذركم بأسه الشديد.

وهذا هو معنى الآية عند جمهور المفسِّرين[٤].

الثاني: أن يكون المفعول الثاني محذوفاً والتقدير:إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه من المشركين، والمراد بأوليائه هم المنافقون[1].

---

(١) ينظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس١/٤٨٤، و تفسير القرآن العظيم٢/١٢٧

(٢) مجالس ثعلب٢/٥٥٠، وينظر: لسان العرب٩/٩٩

(٣) سبق تخريجه ص:٨٠

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء١/٢٤٨، جامع البيان، للطبري٦/٢٥٥-٢٥٧،معاني القرآن وإعرابه، للزجاج١/٤٩٠، ومعاني القرآن الكريم، للنحاس١/٥١٢، والهداية إلى بلوغ النهاية٢/١١٨٢

النتيجة:

الراجح أن التخويف من الشيطان للمؤمنين بأوليائه من المشركين، والمفعول المحذوف الأول. ودليل هذا سياق الآيات من قوله تعالى :﴿ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ ﴾آل عمران : ١٧٣، فالمُخَوَّف المؤمنين، والمُخَوَّف به المشركين، والشاهد أن المؤمنين هم المُخَوَّفون قوله﴿ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ ﴾، وفي هذه الآية يقول تعالى للمؤمنين المُخَوَّفين﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: البحر المحيط٣/١٢٠، والدر المصون٣/٤٩٣

سورة النساء

(٦٤) قوله تعالى :﴿ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٍ الصَّافَّاتِ صٍ ﴾ النساء: ٤

قال أبو العبَّاس أحمدُ بن يحيى في قولهم انْتَحلَ فلانٌ كذا وكذا : معناه قد ألْزَمَهُ نَفْسَه وجعله كالمُلْك له، أُخِذَ من النِّحلة وهي الهِبَةُ والعطيّة يُعْطَاهَا الإنسانُ. قال الله تبارك وتعالى:﴿ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ ﴾ أراد هِبَةً، والصَّدَاقُ فَرْضٌ؛ لأن أَهْلَ الجاهليةِ كانوا لا يُعْطُون النِّسَاءَ من مُهُورِهِنَّ شيئاً فقال الله تعالى: ﴿ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ ﴾ هبةً من الله إذْ كانَ أهلُ الجاهليَّة يَدْ فَعُونَهُنَّ عن صَدُقَاتِهِنَّ، والنِّحلة هِبَةٌ من الله للنِّساء فَرَضَهُ لهن على الأزْوَاج[١].

الدِّراسة:

النِّحلة، والنُّحلة، بكسر النون وضمها، لغتان، وأصلها من العطاء، تقول: نحلت فلاناً شيئاً أي أعطيته. ولها عدة إطلاقات في اللغة[٢]، وبناء على هذا التعدد، تعددت أقوال العلماء في معناها إلى الآتي[٣]:

١. فريضة.

روي عن عائشة رضي الله عنها، وقتادة، ومقاتل، وابن جريج، وابن زيد [٤]، وقاله ابن جرير[٥].

٢. ديانة.

قاله الزجاج[٦].

٣. هبة وعطية.

---

(١) الزاهر في معاني كلمات النَّاس:٥٨٨، ينظر: مجالس ثعلب٢/٣٦٩،٥٥٧، وتهذيب اللغة٥/٤٣

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ن ح ل)

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١٢/٢، ومعاني القرآن الكريم، للنحاس ١٦/٢، وتفسير المشكل من غريب القرآن:٥٧

(٤) ينظر:جامع البيان، للطبري٦/٣٨٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٨٦١

(٥) جامع البيان، للطبري٦/٣٨٠

(٦) معاني القرآن٢/١٢

قاله الفرَّاء[1]، وابن عطية[2]، والقرطبي[3].

٤. طيبة نفس.

قاله أبو عبيدة[4].

النتيجة:

إذا كانت هذه الأقوال صحيحة في معنى هذه الكلمة ولها وجه في اللغة، والآية تحتملها ولا تعارض بينها، فلا ما نع من حمل معنى (النِّحلة) على جميع ما ورد، فالصداق للمرأة هبة وعطية من الله تعالى فرضه لهنَّ ديانة بعد ما كانت محرومة منه في الجاهلية، يدفع بطيبة نفس من الأزواج من غير مَنٍّ ولا أذى، والله تعالى أعلم.

(١) معاني القرآن١/٢٥٦

(٢) المحرر الوجيز٢/٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن٦/٤٤

(٤) مجاز القرآن١/١١٧

(٦٥) قوله تعالى :﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية ﴾ النساء: ١١

﴿ الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء ﴾ قال: كنى عن الأولاد كناية خاصة في المؤنث، فرد على الذي كنّى عنه، وذلك أن يقال للمؤنث: هنَّ أولادي، وللمذكر هم أولادي، وللمذكر والمؤنث أيضاً: هم أولادي.

قال: وهذا مثل (مَنْ) في التذكير والتأنيث والجمع والتوحيد[١].

الدِّراسة:

اختلف أهل اللغة في عود ضمير(كنَّ) إلى قولين:

الأول: يعود على الإناث الذي شملهن قوله (في أولادكم) والتقدير: فإن كان الأولاد نساء، أو فإن كان في أولادكم الذكور والإناث نساء.

هذا قول ثعلب وبعض نحوي البصرة والكوفة[٢]، واختاره النَّحاس[٣]، وأبو حيَّان[٤] واستدل له بذكر دعاءٍ للنبي ﷺ في عود الضمير المؤنث على جمع المذكر العاقل بمحض الذكور وهو

(١) مجالس ثعلب١/٢٥٠

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري٦/٤٦١

(٣) إعراب القرآن١/٤٣٩

(٤) البحر المحيط٢/١٨١

قوله: (**ورب الشياطين ومن أضللن**)[1]،فمن باب أولى جواز عوده على جمع المذكر الشامل للذكور والإناث.

الثاني: يعود الضمير على المتروكات، والتقدير: فإن كنَّ المتروكات نساء. ودل ذكر الأولاد عليه.

قاله ابن جرير[2]، ومكِّي[3]، والزَّمَخشَري[4]، وابن عطية[5]، والعُكبري[6]، والسَّمين الحلبي[7]. الحلبي[7].

النتيجة:

الراجح القول الثاني، لأن قوله : (فإن كنَّ)، لو كان معنياً به الأولاد، لقيل: وإن كانوا، و لم يقل: كنَّ، العائدة على الإناث فقط[8].

وأما الإجابة على استدلال أبي حيَّان، فيقال: إن عود الضمير هنا لغرض المشاكلة فإن قبله : (**اللهم رب السموات ومن أظللن، ورب الأرضين وما أقللن**)، مع ضعف هذا الحديث أيضا، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي، في سننه، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب رقم (٩١)، حديث رقم (٣٥٢٣)، وقال:إسناده ليس بالقوي، وأخرجه البيهقي في سننه٥/٢٥٢، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد١٠/١٢٦

(٢) جامع البيان، للطبري٦/٤٦٠

(٣) مشكل إعراب القرآن:١٧١

(٤) الكشاف١/٤٧٠

(٥) المحرر الوجيز٢/١٥

(٦) إملا ما من به الرحمن١/١٦٩

(٧) الدر المصون٣/٥٩٨

(٨) ينظر:جامع البيان، للطبري٦/٤٦١

(٦٦) قوله تعالى :﴿ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونِسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنبِيَاءِ الْحَجِّ ﴾النساء: ٤٢

وقوله تعالى:﴿ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ ﴾فَسَّره ثعلب فقال : معناه يصيرون كالتراب[١].

الدِّراسة:

الأقوال:

١. يصيرون كالتراب، فيكونون هم والأرض شيئاً واحداً.

قاله الفرَّاء[٢]، وابن جرير[٣]، والنَّحاس[٤]، ومكِّي[٥]، والبغوي[٦].

ويؤيده قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ ﴾النبأ: ٤٠

وهذا على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم بضم التاء وتخفيف السين[٧].

٢. يدخلون في الأرض فيسيخون فيها حتى تعلوهم وتسوى عليهم.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة[٨]، وقاله أبو عبيدة[١]، وابن كثير[٢].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٨/٦٤١، ولسان العرب١٤/٤١٥

(٢) معاني القرآن١/٢٦٩

(٣) جامع البيان، للطبري٧/٤١

(٤) معاني القرآن الكريم٢/٩٠

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٣٣٣

(٦) معالم التنزيل٢/٢١٧

(٧) السَّبعة:١٧٩، وجامع البيان ي القراءات السبع٣/١٠١٢

(٨) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٩٥٧

وهذه على قراءة نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وقراءة حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين[٣].

النتيجة:

فعل التسوية يرجح القول بأنهم يسيخون في الأرض، وما يتم لله الكافر يوم القيامة ي رجح القول بأنهم يكونون تراباً كالأرض.

وعلى كل حال فالآية تحتمل كلا المعنيين، ويؤيده القراءات الصحيحة فيها، والله تعالى أعلم.

(١) مجاز القرآن١/١٢٨

(٢) تفسير القرآن العظيم٢/٣٠٧

(٣) السَّبعة ص:١٧٩، وجامع البيان في القراءات السبع٣/١٠١٢، ينظر: البحر المحيط٢/٢٥٣

(٦٧) قوله تعالى :﴿ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسَ الصَّافَّاتِ صَ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قَ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلاَقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ ﴾ النساء: ٤٣

قوله تعالى: ﴿ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ ﴾ قال ثعلب: إنما قيل هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر(١).

الدِّراسة:

قول ثعلب في الآية هو جواب سؤال مقدر: لماذا نهى تعالى عن قربان الصلاة في حالة السُّكر وقد أُمر الإنسان باجتناب الخمر؟

من أجل ذلك جاء قولان في الإجابة على هذا السؤال:

الأول: المراد بالسُّكر سكر الخمر وهذه الآية نزلت قبل تحريم الخمر.

وهذا قول جمهور المفسِّرين(٢).

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٦/٧١١، ولسان العرب٤/٣٧٣

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري ٧/٤٦-٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٣/٩٥٩، ومعاني القرآن، للفراء١/٢٧٠، ومعاني القرآن الكريم، للنحاس٢/٩٤، ومعالم التنزيل٢/٢١٩، والمحرر الوجيز٢/٥٧

الثاني: المراد بالسُّكر سكر الرَّوم لا سكر الخمر، والآية محكمة ولا تعارض مع آيات تحريم الخمر.

روي عن الضَّحاك[1].

النتيجة:

الراجح قول الجمهور للأخبار المتظاهرة عن الصحابة ﷺ في سبب النزول[2].

عن علي بن أبي طالب ﷺ أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف ﷺ[3]، فسقاهما قبل أن تُحرَّم الخمر، فأمَّهُما عليٌ المغرب فقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ الكافرون: ١ فخلط فيها، فنزلت : ﴿الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ﴾[4].

والشاهد من الأثر: فسقاهما قبل أن تُحرَّم الخمر.

---

(١) ينظر:جامع البيان، للطبري٧/٤٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٩٥٩

(٢) ينظر:أسباب النزول، للواحدي ص :١٢٧، والمحرر في أسباب النزول، للدكتور :خالد المزيني ١/٣٨٧-٣٨٩، وجامع البيان، للطبري٧/٤٦-٤٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٩٥٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢/٣٠٨-٣١٠

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث القرشي الزُّهري، صحابي جليل، أحد العشرة المبشرين بالجنَّة، وأحد السابقين إلى الإسلام، توفي سنة ٣١هـ، وينظر: أسد الغابة٣/٤٧٥، والإصابة٤/٢٩٣.

(٤) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر، رقم(٣٦٧١)، والترمذي في سننه، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، رقم(٣٠٢٦).

(٦٨) قوله تعالى :﴿ المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل ﴾ النساء: ٤٣

وقوله تعالى: ﴿ فاطر يس الصافات ص الزمر ﴾

قال: إذا كان له بيت في المسجد فاحتاج أن يدخل بيته جاز له[1].

الدِّراسة:

للعلماء في المسألة قولان:

الأول: المراد بعابر السبيل هو المجتاز للمسجد.

قول الجمهور[2].

---

(١) مجالس ثعلب١/٤٩

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٥٤-٥٨، و تفسير القرآن العظيم٣/٩٥٩، وأحكام القرآن، لابن العربي١/٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن٦/٣٤١

قال ابن جرير: فتأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل[1].

وقالوا: إطلاق لفظ الصلاة على المسجد من وجهين: الأول: من باب حذف المضاف، والتقدير: لا تقربوا مواضع الصلاة، والثاني: قوله تعالى:﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ ﴾ الحج: ٤٠ والمراد بالصلوات مواضع الصلاة[2].

ثم إن قوله: ﴿ ٱلشُّعَرَآءُ ٱلنَّمْلُ ٱلْقَصَصُ ﴾ فالقُرب والبعدُ لا يصحان على نفس الصلاة على سبيل الحقيقة، إنما يصحان على المسجد.

الثاني: المراد بعابر السبيل المسافر يجوز له الصلاة وهو جنباً بعد التيمم إذا لم يجد الماء.

روي عن علي وابن عباس ﷺ، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن زيد[3].

لكن يُضْعِف هذا القول أن حكم التيمم للمسافر وغيره ممن عليه حدث أكبر أو أصغر و لم يجد الماء مذكور في آخر الآية.

النتيجة:

المختار القول الأول لأن حكم المسافر ذكر في نفس الآية والتأسيس لمعنى جديد أولى من التكرير، وهو قول جمهور المفسِّرين.

---

(١) جامع البيان٧/٥٨

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب١٠/١١٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٥٠-٥٤، وتفسير القرآن العظيم٣/٩٦٠، وأحكام القرآن، لابن العربي ١/٤٢٦، والجامع لأحكام القرآن٦/٣٤٠

(٦٩) قوله تعالى :﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ النساء: ٤٦

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ فسَّره ثعلب فقال: اسمع لا سمعت[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

١. اسمع لا سمعت أو لا أسمعك الله.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[2].

٢. اسمع لا مأمورٍ ولا صاغر، يظهرون تعظيم النَّبي ﷺ، وفي الباطن يريدون ذمه.

٣. اسمع لا مقبول منك.

روي عن مجاهد والحسن[1]، واختاره البغوي[2].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١/٥١١، ولسان العرب٨/١٦٢

(٢) ينظر:جامع البيان، للطبري ٧/١٠٥، وتفسير ال قرآن العظيم، لا بن أبي حاتم ٣/٩٦٦،ومعاني القرآن ، للنحاس٢/١٠٢، والمحرر الوجيز٢/٦٢

وهذا القول لا يساعده التصريف، لأنه لو أراد هذا المعنى لقال:(غير مسموع منك) أو:(غيرُ مسمع) برفع غير، لأن العرب لا تقول أسمعتك بمعنى قبلت منك، وإنما تقول سمعت منك بمعنى قبلت[٣].

مع ما في هذا القول من إعادة لمعنى الجملة التي قبلها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، ومن القواعد في التفسير التأسيس أولى من التأكيد.

٤. اسمع لا مسمع كلاماً ترضاه، على الذم، أو اسمع لا مسمع كلاماً مكروها، على المدح في الظاهر، والسخرية في الباطن[٤].

النتيجة:

الراجح قول جمهور المفسِّرين ويؤيده أن مقصود اليهود الدعاء على الرَّسول ﷺ، وعصيانه، والطعن فيه، وهذا المعنى هو أقرب الأقوال إلى مقصودهم، والأقرب لمعنى لفظ ﴿قَالَ تَعَالَىٰ:﴾، بخلاف القول الثاني والثالث، وأما القول الرابع فالأول أقرب منه، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر:جامع البيان، للطبري٧/١٠٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/٩٦٦

(٢) معالم التنزيل٢/٢٣٠

(٣) ينظر: معاني القرآن،للأخفش١/٢٤٠، وجامع البيان،للطبري٧/٤٨، والمحرر الوجيز٢/٦٢، والبحر المحيط٣/٢٦٤

(٤) ينظر: الكشاف١/٥٠٧، والبحر المحيط٣/٢٦٣

(٧٠) قوله تعالى: ﴿ الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ قُرَيْشٍ الْمَاعُونِ الْكَوْثَرِ الْكَافِرُونَ ﴾ النساء: ٧٩

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل :﴿الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ ﴾الْقَارِعَةِ : وأنا قضيتها عليك [1].

الدِّراسة:

معنى الآية عند المفسِّرين: أن ما يصيبك يا محمد من رخاء وعافية فمن فضل الله تعالى، وما يصيبك من شدة وبلاء فمن نفسك، أي: بذنب اكتسبته نفسك[2].

(١) مجالس ثعلب٢/٣٦٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٢٤١، والهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٣٩٢

وليس في الآية متمسك لمن أراد تخصيص تقدير الله تعالى للخير دون الشر، وهذا هو الدافع الذي جعل الإمام ثعلب-رحمه الله- يقول قوله هذا، للرد على من حاول التمسك بهذا المعنى.

فقول ثعلب هو من المسكوت عنه في الآية، وأن تقدير جميع الأمور من خير أو شر هو من عند الله تعالى، حتى لا يكون للقدرية حجة في ذلك، وأن مراد الآية هو بيان سبب وقوع السيئة. ويؤيده ما جاء في قراءة ابن عبَّاس وابن مسعود وأبيﷺ(وأنا كتبتها عليك)، (وأنا قدرتها عليك)، (وأنا قضيتها عليك)[1]، وهي من القراءة التفسيرية[2][3].

(٧١) قوله تعالى :﴿ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ النساء: ٨٥

﴿ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ ﴾ قال: حظ ونصيب[4].

الدِّراسة:

الكفل في اللغة:الكاف والفاء واللام أصل صحيح يدل على تضمن الشيء للشيء، ومعنى الكفل هو الحظ والنصيب[5].

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للنحاس٢/١٣٦، والمحرر الوجيز٢/٨٢، والبحر المحيط٣/٣٠١، والدر المنثور٢/٣٣١

(٢) القراءة التفسيرية: ما نقل عن السلف على أنه قراءة وقد خالف رسم المصحف وكان أشبه بوجه في تفسير الآية، ينظر: مفاتيح التفسير٢/٦٦٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/١٠١١، والجامع لأحكام القرآن٦/٤٧٠

(٤) مجالس ثعلب١/٨٢

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ك ف ل)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج٢/٨٤

والمراد به في الآية على ما جاء عن المفسِّرين الإثم والوزر[1].

ولماذا جاء في الحسنة بالنصيب وفي السيئة بالكفل، بمعنى هل النصيب خاص بالخير والكفل خاص بالشر؟

الجواب: الصحيح أنه ليس بينهما اختلاف وهما يطلقان على الخير والشر، والدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحديد: ٢٨

فلا يقال أنه جاء بالنصيب لأنه في ذكر الحسنة والكفل لأنه في ذكر السيئة، لكن الراجح أنه من باب التنويع والتفنن في الألفاظ والبلاغة والفصاحة، والله تعالى أعلم.

(٧٢) قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَدِيدِ ٱلۡمُجَٰدِلَةِ ٱلۡحَشۡرِ ٱلۡمُمۡتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ ٱلۡجُمُعَةِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ ٱلتَّغَابُنِ ٱلطَّلَاقِ ٱلتَّحۡرِيمِ ٱلۡمُلۡكِ ٱلۡقَلَمِ ٱلۡحَاقَّةِ ٱلۡمَعَارِجِ نُوحٖ ٱلۡجِنِّ ٱلۡمُزَّمِّلِ ٱلۡمُدَّثِّرِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٱلۡإِنسَٰنِ ٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ٱلنَّبَإِ ٱلنَّٰزِعَٰتِ عَبَسَ ٱلتَّكۡوِيرِ ﴾ النساء: ٨٥

وقال أبو العبَّاس في قوله: ﴿ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٱلۡإِنسَٰنِ ٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ٱلنَّبَإِ ٱلنَّٰزِعَٰتِ عَبَسَ ﴾: مقتدراً [2].

الدِّراسة:

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ٢٧٠/٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٠١٩/٣، والهداية إلى بلوغ النهاية١٤٠٢/٢

(٢) مجالس ثعلب١١٢/١

الأقوال:

١. المقتدر.

اسم فاعل مشتق من أقات يقيته إقاتة، وقاتة يقوته قياتة وقوتاً[١].

روي عن السُّدِّي، وابن زيد، وسعيد بن جبير[٢]، وقاله الفرَّاء [٣]، واليزيدي [٤]، وابن جرير[٥]، وابن عطية[٦]، والقرطبي[٧]، والسَّمين الحلبي[٨]، والألوسي[٩].

٢. الحفيظ.

مشتق من القوت، يقال: قِتُ الرجل أقوته قوتاً، إذا حفظت عليه نفسه بما يقوته[١٠].

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وعطاء[١١]، قاله أبو عبيدة [١٢]، والزَّجاج[١٣]، والنَّحاس[١٤]،.....

والزَّمَخشَري[١٥].

٣. الشريحي.

روي عن مجاهد[١٦].

٤. معطي القوت.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ق و ت)، وجامع البيان، للطبري٧/٢٧٣

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٢٧٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/١٠١٩-١٠٢٠

(٣) معاني القرآن١/٢٨٠

(٤) غريب القرآن:١٢٢

(٥) جامع البيان، للطبري٧/٢٧٢

(٦) المحرر الوجيز٢/٨٦

(٧) الجامع لأحكام القرآن٦/٤٨٦

(٨) الدر المصون٤/٥٦

(٩) روح المعاني٣/٩٤

(١٠) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ق و ت)، ومعاني القرآن وإعرابه٢/٨٥

(١١) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٢٧١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/١٠١٩

(١٢) مجاز القرآن١/١٣٥

(١٣) معاني القرآن وإعرابه٢/٨٥

(١٤) معاني القرآن ٢/١٤٧

(١٥) الكشاف١/٥٣٢

(١٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٢٧١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/١٠٢٠

روي عن الضَّحاك[1].

٥. الحسيب.

روي عن مجاهد[2].

٦. القائم على كل شيء بالتدبير.

٧. الدائم[3].

النتيجة:

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ﴾ اشتقاقها يدل على معنى القدرة والحفظ، و كذلك سياق الآيات يدل عليه، فيناسب حمل المعنى على القدرة والحفظ للحسنات والسيئات والمجازاة عليهما. وهذا ما يرجح القول الأول والثاني، وغيرها من الأقوال هي من لوازم معنى القولين السابقين فلا يخرجون منها.

وعلى هذا فالأقوال متقاربة لاستلزام بعضها معنى البعض[4].

قال ابن فارس[5]: القاف والواو والتاء أصل صحيح يدل على إمساك وحفظ وقدرة على الشيء[6].

(٧٣) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ النساء: ٨٧

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/١٠٢٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٢٧١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٣/١٠٢٠

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٤٠٣، والبحر المحيط٢/٣١٠

(٤) ينظر: المحرر الوجيز٢/٨٦، والبحر المحيط٢/٣١٠

(٥) أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، أبو الحسين اللغوي، صاحب المعجم، توفي سنة ٣٩٥هـ، وينظر: إنباه الرواة١/١٢٧، وبغية الوعاة/٢٩٩.

(٦) معجم مقاييس اللغة، مادة(ق و ت)

وقال أحمد بن يحيى في قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كأنه قال والله الذي لا إله إلا هو ليجمعنكم(١).

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- بيان للقسم المقدر الذي دلت عليه اللام الموطئة للقسم في قوله : ﴿**قال تعالى :** ﴾.

فالاسم الكريم في محل رفع مبتدأ من قوله﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾، وخبره كلمة التوحيد، وجملة ﴿ **قال تعالى :** ﴾جواب لقسم محذوف تقديره: والله ليجمعنكم، ومحلها من الإعراب إما خبر للاسم الكريم وكلمة التوحيد جملة معترضة، أو خبر ثان وكلمة التوحيد خبر أول، وذكر وجه ثالث أنها مستأنفة ليس لها محل من الإعراب، والله تعالى أعلم(٢).

(١) تهذيب الغة٥ ٣٧٧/١، ولسان العرب٤٦٣/١٣

(٢) ينظر: إملاء ما من به الرحمن١٨٩/١، والدر المصون٥٨/٤، وروح المعاني ١٠١/٣

(٧٤) قوله تعالى :﴿ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنْسَانِ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ ﴾ النساء: ١٠٠

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل : ﴿ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ ﴾.

أي : مضطرباً، ومذهباً.

ورَاغَم الرجل أهله إذا تباعد عنهم وفارقهم (١).

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة(٢):

١. مضطرباً ومذهباً.
٢. مهاجراً.
٣. سعة.
٤. متزحزحاً عن ما يكره.
٥. مغلباً له على أعدائه. لأنه يغلبهم بهجرته عنهم وهم يريدون منعه، فيكون أرغم أُنوفهم في التراب.

النتيجة:

هذه الأقوال من التفسير بالمعنى وهي متقاربة ومن التفسير باللازم(٣).

فالمُرَاغِم والمُهَاجِر سواء(٤)، وهو من يخرج من بلد قد ضُيِّقَ عليه فيه إلى مكان فيه سعة وخير، قهراً وغلبة منه لأعدائه رَغم أُنوفهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١/١٩٠

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٣/١٠٤٩، والنكت والعيون ١/٥٢٢، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة (ر غ م)

(٣) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس١/٤٨٤، والجامع لأحكام القرآن٧/٦٦

(٤) ينظر: مجاز القرآن١/١٣٨، وتفسير المشكل من غريب القرآن:٦٣

(٧٥) قوله تعالى :﴿ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ ﴾ النساء: ١١٩

وفي التنزيل العزيز:﴿ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾قال أبو العبَّاس: يقول فليقطعن[١].

الدِّراسة:

البتك في اللغة: القطع[٢].

ويراد به في الآية قطع آذان البحيرة للطواغيت[٣].

والبحيرة هي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، يقطعون أذنها ويسيبونها للطواغيت، فلا تركب ولا تحمل، قال تعالى :﴿ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الإِنْسَانِ الْمُرْسَلاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ ﴾ المائدة: ١٠٣[٤]

قال الراغب[٥]: البتك يقارب البتّ، لكن البتك يستعمل في قطع الأعضاء والشَّعر، يقال بتك شعره وأُذنَه، قال الله تعالى: ﴿ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾ومنه سيف باتك: قاطع للأعضاء، وبتَّتُ الشَّعر تناولت قطعة منه[٦].

---

(١) تهذيب اللغة١٠/٨٩، ولسان العرب١٠/٣٩٥

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، مادة(ب ت ك)

(٣) ينظر: مجاز القرآن١/١٤٠، وغريب القرآن، لليزيدي:١٢٤، وجامع البيان، للطبري٧/٤٩٣، والهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٤٧١

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٢٦-٣٠، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ب ح ر)

(٥) الحسين بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصبهاني اللغوي، توفي في حدود سنة ٤٢٥هـ وينظر: إنباه الرواة٣/١٩٤، وبغية الوعاة١/١٨٥.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ب ت ك)

(٧٦) قوله تعالى: ﴿النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ﴾ النساء : ١٢٥

قوله تعالى: ﴿الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ قال ثعلب: إنما سمى الخليل خليلا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته.

وأنشد قول بشار:

قد تخلَّلت مسلك الرُّوح منِّي وبه سُمِّي الخليلُ خليلا [١][٢]

الدِّراسة:

الخليل مشتق من الخَلَّة على معنى الاختصاص أو الفقر والحاجة، أو اشتق من الخُلَّة على معنى المحبة والمودة التي تتخلل الرَّوس، أو من الخَالَ على معنى سلامة محبته من الخَالَ [٣].

وبناء على هذه المعاني جاءت أقوال المفسِّرين في سبب تسمية إبراهيم عليه السلام بالخليل على النَّحو الآتي:

١. لأن محبته تتخلل النفس والقلب.

٢. لأنه ليس في محبته خلل، فمحبته تامة.

قاله الزَّجاج[٤].

٣. لأنه لم يجعل فقره وحاجته إلا إلى الله.

٤. لأن الله تعالى اختصه بالرسالة في وقته.

قاله النَّحاس[٥]، ومكِّي[١].

---

(١) ديوانه٢/٤٧٥، وفيه: ولذا، بدل:وبه.

(٢) الجامع لأحكام القرآن٧/١٥٥

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(خ ل) و (خ ل ل)، والدر المصون٤/٩٩

(٤) معاني القرآن وإعرابه٢/١١٢

(٥) إعراب القرآن١/٤٩١

وخليل على وزن فعيل بمعنى فاعل ومفعول في القول والثا ني و بمعنى فاعل في القول الثالث، ومفعول في القول الرابع.

النتيجة:

ما ذكره العلماء في سبب تسمية إبراهيم عليه السلام بالخليل له قوته من جهة أصل الكلمة في اللغة واشتقاقها، وكذلك موافقة هذه المعاني لإبراهيم عليه السلام.

ولكن الذي يترجح من الأسباب المذكورة هو الحمل على المشهور والأغ لب لمعنى الخليل وهي المودة والمحبة التامة التي تتخلل النفس وليس فيها خلل.

فقد بلغ بهذا الوصف أعلى مقامات المحبة والود.

وبهذا يكون إبراهيم عليه السلام أُختص بهذا الوصف دون غيره من الخلق، بخلاف ما لو رُجح غيره من الأسباب الأخرى لكان له فيها مشارك، كالرسالة أو الفقر والحاجة، والله تعالى أعلم.

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٤٨٠

(٧٧) قوله تعالى :ﭐﱁﱂ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة ﴾ النساء: ١٥٧

قال أبو العبَّاس : ﴿ الأنعام الأعراف الأنفال ﴾: ما قتلوا الخبر يقيناً، إنما قالوه بالحدس[1].

الدِّراسة:

الأقوال في هذه المسألة مبنية على عود الضمير في (قتلوه)[2]:

١. الضمير عائد على عيسى عليه السلام، أي: ما قتلوا عيسى عليه السلام، والوقف على (قتلوه). قاله البغوي[3]، والزَّمَخشَري[4]، وأبو حيَّان[5]، وابن كثير[6].

٢. الضمير عائد على العلم، أي:ما قتلوا علمهم على يقين، إنما كان على ظن وحدس. قاله الفرَّاء[7]، وجوز الأول والثاني الزَّجاج[8].

٣. الضمير عائد على الظن، أي : ما قتلوا ظنهم يقيناً، إنما كان حدس وتخمين. روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و السُّدِّي[9]، وقاله ابن جرير[10].

---

(١) مجالس ثعلب١/١٠٦

(٢) ينظر: البحر المحيط٣/٣٩١، والدر المصون٤/١٤٧

(٣) معالم التنزيل٢/٣٠٧

(٤) الكشاف١/٥٧٥

(٥) البحر المحيط٣/٣٩١

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢/٤٤٩

(٧) معاني القرآن١/٢٩٤

(٨) معاني القرآن وإعرابه٢/١٢٩

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٦٦٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٤/١١١١

(١٠) جامع البيان، للطبري٧/٦٦٢

النتيجة:

أولى الأقوال بالصواب القول بعود الضمير على عيسى عليه السلام، وذلك لجعل الضمائر جميعها تعود على شيءٍ واحد وهو الأولى مع صحة المعنى في الآية.

ومن القواعد: إذا تعاقبت الضمائر فالأصل أن يتحد مرجعها.

ويكون المعنى: ما قتلوا عيسى عليه السلام على وجه القطع واليقين ولكن على وجه الظن والتخمين أنهم قتلوه، وفي الحقيقة أنهم قتلوا شبيهه، والله تعالى أعلم.

(٧٨) قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّجِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ النساء: ١٦٤

قوله تعالى:﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ تأكيد كلم بالمصدر يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة.

قال ثعلب: لولا أن الله تعالى أكد الفعل بالمصدر، لجاز أن يكون كما يقول أحدنا للآخر: قد كلمت لك فلانا ، بمعنى كتبت إليه رقعة أو بعثت إليه رسولاً ، فلما قال (تكليماً) لم يكن إلا كلاماً مسموعاً من الله[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب في هذه الآية تأصيل لقول جمهور المفسِّرين[٢] من أن المراد بالكلام في الآية هو الكلام على معناه الحقيقي، واثبات لصفة الكلام لله تعالى الذاتية والفعلية[٣].

وفي قوله أيضاً: رَدٌ على المعتزلة الذين ينفون صفة الكلام عن الله تعالى ويقولون عن القرآن أنه مخلوق[٤]، ويحرفون معنى الكلام في هذه الآية إلى الجَ رح فيقولون: الكلام في هذه الآية مأخوذ من الكلِم وهو الجَرح، أي: أن الله جَرح موسى عليه السلام بأظفار المحن، ومخالب الفتن[٥]. الفتن[٥].

---

(١) زاد المسير٢/٢٥٦، وينظر: تهذيب اللغة١٠/١٤٨، وتفسير القرآن، للسمعاني١/٥٠٣، ولسان العرب١٢/٥٢٤، والبحر المحيط٣/٣٩٨

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٦٨٩، ومعاني القرآن، للنحاس٢/٢٤٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٢/٤٧٣

(٣) ينظر: مجموع الفتاوي١٢/٥٠٢-٥١٦

(٤) ينظر: شرح الأصول الخمسة:٣٥٧، والكشاف١/٥٧٨، ٢/١٤٦

(٥) ينظر: الكشاف١/٥٧٨

قال النَّحاس: أجمع النحويون على أنك إذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً[1].

(٧٩) قوله تعالى :﴿ آلِعِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الْحِجْر النَّحل الإِسْرَاء الْكَهْف مَرْيَم طه الأَنْبِيَاء الْحَجّ ﴾ النساء: ١٧٢

سمعت المُنذِّري يقول: سمعت أبا العبَّاس، وسئل عن الاستنكاف في قوله تعالى :﴿ آلِعِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة ﴾فقال: هو أن يقول لا، وهو من النكف والوكف، يقال: ما عليه في ذلك الأمر نكف ولا وكف، فالنكف: أن يقال له سوء، واستنكف ونكف إذا دفعه وقال: لا.

والمفسِّرون يقولون: الاستنكاف والاستكبار واحد، والاستكبار : أن يتكبر ويتعظَّم والاستنكاف ما قلنا[2].

الدِّراسة:

في اللغة النَّكْفُ: يكون بمعنى التنحية أوالقطع أوالنَّـزح أوالامتناع بأنفه[3].

وقول ثعلب –رحمه الله– في معنى الاستنكاف الذي في الآية مأخوذ من المعنى الأخير لكلمة(النَّكْفُ) في اللغة، وهو قول جمهور المفسِّرين[4]، امتناع عن الأمر مشوب بالأنفة والاستكبار والتعاظم.

وروي عن قتادة أنه بمعنى: لن يحتشم المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة والمقربون[5].

---

(١) إعراب القرآن١/٥٠٧

(٢) تهذيب اللغة١٠/١٥٤، ولسان العرب٩/٣٤١

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ن ك ف)

(٤) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة ١/١٤٤، وجامع البيان، للطبري ٧/٧٠٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٤/١١٢٤، والهداية إلى بلوغ النهاية٢/١٥٤٢، والجامع لأحكام القرآن٧/٢٣٦، والبحر المحيط٣/٤٠٢

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٧/٧٠٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٤/١١٢٤

وهذا القول في معنى قول الجمهور، ولا تعارض بينهما.

وأما القول بأن الاستنكاف والاستكبار واحد، فهذا لا يسلم به، لأنه قد يكون من المرء استكبار مع عدم امتناع على الأمر[1]، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري:٢٧٨، والكليات، للكفوي:٢٨